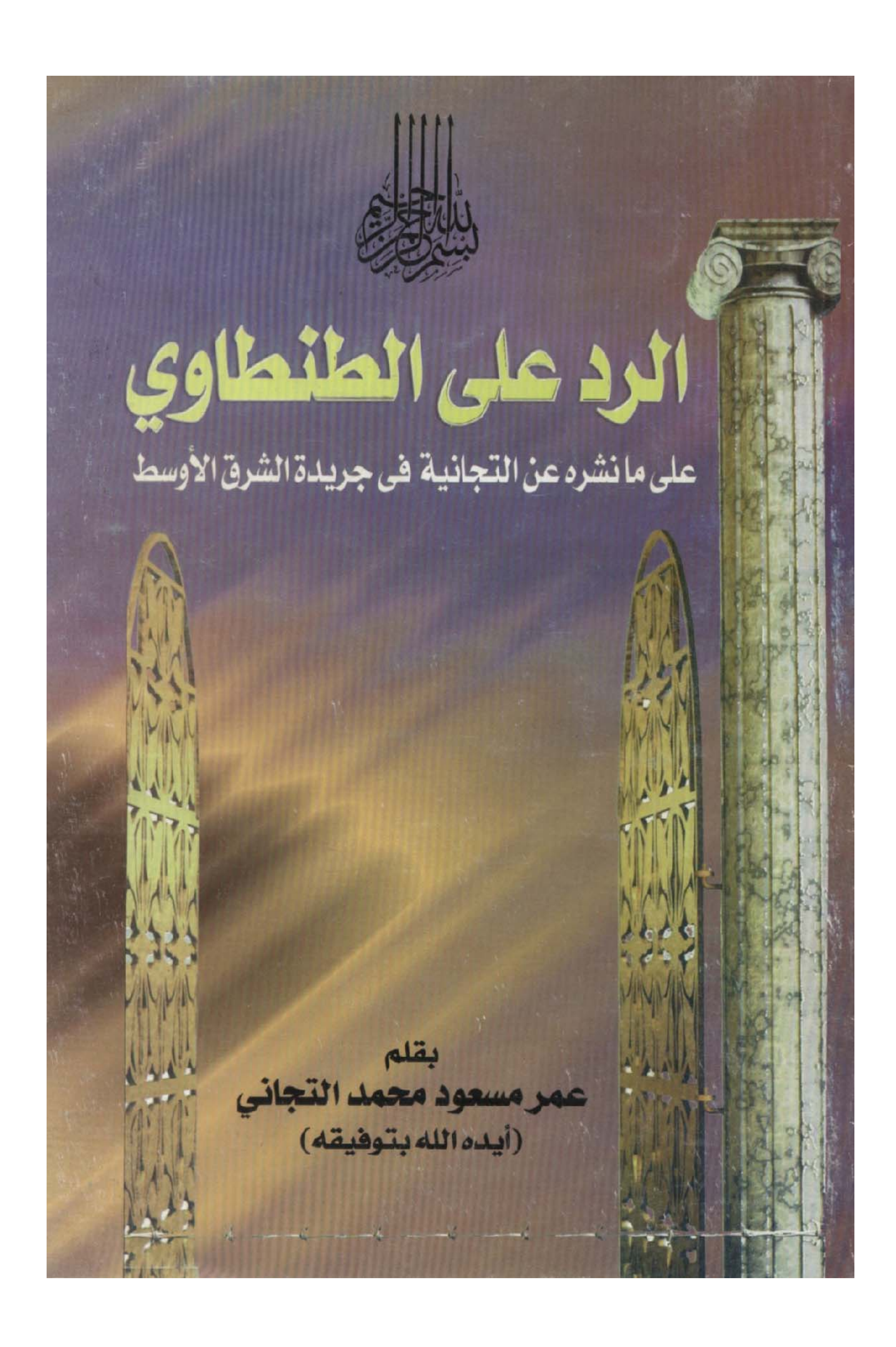


الرد على الطنطاوي

على ما نشره عن التجانية في جريدة الشرق الأوسط

بقلم

عمر مسعود محمد التجاني

(أيده الله بتوفيقه)

الرد على الطنطاوى

على ما نشره فى جريدة الشرق الأوسط

عـن التجانيـة

بقلم

عمر مسعود محمد ا لتجانى

(أيده الله بتوفيقه)

فتنة التيجانية في الشام والخلاف بين جمعية العلماء والجمعية الغراء

السبب الحقيقي هو قضية التيجانية بل ان هذه القضية ثمرة لاختلاف العقليات كما يقولون في التعبير الحديث، عقلية الشيخ كامل القصاب، وعقلية الشيخ علي الدقر.

الشيخ كامل سياسي، مارس السياسة وعرف ظواهرها وبواطنها، وخبر الحياة حلوها ومرها، وعاش في مصر وفي فلسطين وفي الحجاز، وخالط الناس. ثم انه سلفي العقيدة واقعي التفكير، يقرأ كل كتاب، ويطلع على كل جريدة او مجلة تصل إليه، وله مشاركة في الأدب، ويحفظ كثيرا من الشعر.

والشيخ علي الدقر صوفي مثالي، لا يكثر مخالطة الناس، ولا يكاد يعرف واقع حياتهم. يعيش في دائرة ضيقة، لا تجاوز بيته ومسجده وكتبه التي قرأها وأقرأها. لا ينظر، ولا يحبذ النظر في غيرها بين أصحابه وتلاميذه الذين يستمعون منه ما يلقيه عليهم، ولا يحدثونه في غيره، إلا أن يسألوه فيجيبوه جواب التلميذ المؤدب الذي لا يفيض في الحديث إلا فيما يعجب الشيخ. لا يهتم بالأدب، ولا يقر تلاميذه على الاهتمام به، خشية أن يصرفهم عن الكتب العلمية التي يراها أنفع لهم. حتى أن ولده الأديب اللغوي الشيخ عبد الغني الدقر قرأ المعلقات وشرحها، و «كامل» المبرد كله، على الأستاذ عز الدين التنوخي في سنين متعاقبة خفية عنه. ولما خبره ولده الاكبر الشيخ أحمد أن أخاه عبد الغني قد اشترى «النظرات» للمنفلوطي، غضب عليه، وعد ذلك انحرافا منه عن الطريق السوي. كان يخشى على تلاميذه كل جديد، ويخاف عليهم المزالق. ويود لو حصرهم معه في دائرته.

وكلا الشيخين الشيخ علي الدقر والشيخ كامل القصاب، من العلماء الدعاة الى الله، ومن [illegible]

من كتب الطريقة التيجانية، ويستفتيهم فيها، وينشر فتاواهم في رسائل متتابعة كانت توزع مجانا في المدارس والمساجد، ومجامع الناس، وترسل في البريد.

وليست هذه الرسائل تحت يدي الآن، بل بقيت في مكتبتي في الشام، ليس أمامي وانا اكتب هذه الحلقة الا الرسالة الخامسة منها. وقد كانت تصدرها وتتولى الانفاق عليها جماعة من الغير (جمع غيور) على الاسلام، سموا انفسهم «الهيئة الادارية لنصرة الشريعة المحمدية».

وهذه الرسالة الخامسة مؤرخة في ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ. فيها إشارات الى الفتاوى التي اشتملت عليها الرسائل الاربع التي قبلها، ومنها فتوى مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي، وقاضي الشنقيط (اي موريتانيا)، والخطبة التي القاها شيخنا الشيخ بهجة البيطار، والتي لخصتها وعلقت عليها الصحف والمجلات الاسلامية كـ «الفتح» للاستاذ محب الدين الخطيب، و«المنار» للسيد رشيد رضا و«الجامعة الاسلامية» و«التقوى»، وروت اخبارها جريدة «النهار»، ومجلة «كل شيء» التي كنت تصدرها دار الهلال. وفيها ذكر ان هذه الرسائل توقفت شهرا ونصف الشهر، أملا في ان تعود «الجمعية الغراء» عن التيجانية بعدما نشرت فتاوى المفتين في المحافظات السورية. ولكن «الجمعية الغراء» اصرت عليها ولم ترجع عنها.

ووجه الامير خالد الجزائري، حفيد الامير عبد القادر الجزائري اقوالا نقلها من الكتب المعتمدة عند اصحاب هذه الطريقة، وسأل مفتي الجمهورية السورية. وكان شيخنا الشيخ عطا الكسم، رحمه الله، [illegible]

الخضر إن كان حيا؟ ولماذا لم يشهد معه المشاهد ولم ينصره على عدوه؟ كلا. ان الخضر قد مات كما يموت كل حي، ومن ادعى انه رآه وسمع منه، وروى عنه، فهو كاذب.

وفي «الافادة» صفحة (٨٠) ان صلاة الفاتح من كلام الله. فخبروني أيقول هذا مسلم. وان كانت من كلام الله فكيف وصلت الى التيجاني هذا؟ أوحي بعد رسول الله ام افتراء على الله؟

وفي «الافادة» صفحة ٦٣ هذه الكلمة الوقحة الآثمة، وهي قوله «قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله. من يوم أنشأ العالم إلى يوم النفخ في الصور».

وأولياء الله هم بنص القرآن «الذين امنوا وكانوا يتقون». وفي اوائل صفوف الاولياء الرسل والانبياء. فما حكم من يقول هذه المقالة؟ ما مبلغه من الدين. ومن الادب، ومن حسن الخلق، ومن الحياء من الله، ومن الناس؟ وأشياء اخر من أمثال هذه، جمعها الامير خالد، ورفعها الى المفتي الشيخ عطا الكسم، فاجاب بأن كل ما في هذه الكتب، واي كتاب من هذا النوع، باطل، ومخالف للشرع، ولا تجوز قراءتها ولا تداولها.

• • •

وهب العلماء والمفتون في محافظات سوريا كلها، للرد على هذه الاقوال التي لا شك انها مخالفة للاسلام، وان معتقدها كافر. وجمع السيد كامل البني هذه الفتاوى ونشرها في الرسائل التي اشرت اليها. والتي كان يطبعها له اهل الخير، ويوزعها في الناس حتى صارت هذه المسألة شاغلة للناس جميعا. وموضوع احاديثهم في مجالسهم. ولم يبق احد لم يسمع بها. ولكن «الجمعية الغراء» بقيت على حسن رأيها في

أنها ليست في كتبه، ولا في كتب طريقته المعتمدة، حتى تفضل الشيخ الشنقيطي فبعث إلي من كتب الطريقة التي يعتمدونها، ويستندون اليها، فاذا كل هذا الكلام موجود فيها، وإذا هو من أسس طريقتهم. ولم يرتفع صوت واحد لانكار نسبته إلى شيخهم، وادعاء براءته منه. بل هم معترفون به، مقرون بما فيه، ولم ينكره ويرتفع بالشيخ عن أن ينسب اليه، ويدعي أنه مدسوس عليه، إلا هؤلاء العلماء الاجلاء.

فعمدت بعد أن تثبت منها، ووثقت بصحة نسبتها إلى هذا التيجاني، الذي لقبه الاستاذ الشنقيطي بالتيجاني الجاني، ووفق في هذا اللقب، لأن من اكبر الجنايات في الاسلام الكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولأن اصح حديث على الاطلاق هو حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». هذا فيمن كذب مرة، فما بالكم فيمن كذب عليه عشرين مرة، وطبع هذا الكذب ونشره في الناس، ولقنه تلاميذه حتى اعتقدوه وصدقوه؟

على ان العجيب ليس هذا التيجاني، ولا هذه الاقوال السخيفة التي صدرت عنه، ففي الدنيا كثير من السخفاء، ومن ذوي الاغراض، ومن الاعداء في ثياب الاصدقاء، وفيها كثير من الكفار، ومن الزنادقة، ومن الذين آثروا اتباع الشيطان على اتباع سبيل الرحمن. ولكن العجيب فيمن يصدقه ويعظمه، ويحسبه من ائمة الدين ومن علماء المسلمين.

الدين الاسلامي يا إخوان هو دين العقل والمنطق، والمناظرة والدليل، في ضوء كتاب الله وسنة رسول الله. فإذا اخطأ واحد منهما جل قدره او علت منزلته كالشيخ علي الدقر او الشيخ بدر الدين، او شيخ الازهر، وكان يعرف الصواب واحد مثلي، أو أصغر مني، أو

يتبعهم حجة من هذه الحجج فليأتوا بها. فهل صح عن الرسول عليه الصلاة والسلام ما يزعمونه؟ هل نزل به قرآن او ورد به حديث صحيح، او هو من الابتداع، والابتداع في الدين مردود كله. وهل في الدنيا مسلم واحد يزعم أن صلاة الفاتح تعدل القرآن؟ وهل في الدنيا مسلم واحد يصدق أن ورد التيجانية يدخل قائله ووالديه وأزواجه وذريته الجنة بلا حساب. كما جاء في بعض كتبهم؟.. الى ان قلت في آخر المقالة:

اما بعد فإما أن تقرعوا الحجة بالحجة، وتردوا الدليل بالدليل، وإما ان تتوبوا الى الله وترجعوا اليه. وإما أن تسكتوا وتقروا بالضعف والعجز. وانا على قلة علمي، ادعو التيجانيين كلهم، من أكبر واحد فيهم الى اصغر من ينتسب اليهم، ادعوهم إلى مناظرة عامة، على ملأ من الناس، ليظهر هل الحق معهم او مع جمهور المسلمين. وبعد، فالكلمة الاخيرة في هذه التيجانية انها كفر وضلال. فاختاروا لانفسكم إما المناظرة المعلنة أو السكوت المخزي. واختاروا لانفسكم إما ان تكونوا تيجانيين، وإما أن تكونوا مسلمين؟

• • •

والشيخ علي الدقر احد المشايخ الكبار في الشام، الذين كان لهم اكبر الأثر في نشر العلم. وكان أجل الشيخين الذين قاما بما دعي بنهضة العلماء سنة ١٣٤٣هـ ولم ينس الناس ما صنع في حوران والبلقاء (شرقي الاردن) حين ردهما الله به الى الدين والعلم، بعدما أوشكت ان تغرقهما جاهلية كجاهلية الاولى. ولم ينسوا من تخرج عنده من علماء ومدرسين وخطباء. وما فتح من مدارس. وما كانت تصنع دروسه التي كان الناس مزدحمين عليها، ومتسابقين اليها،

والله اعلم بحال من نسبت اليه.

فلماذا اذن اصر على موقفه ولم يتزحزح عنه. انه ملغز، اعلن انني عاجز عن حله.

وانا إنما ادون حادثا مر عليه الآن اربع وخمسون سنة. والدول تنشر المطوي من وثائقها، وتبدي المكنون من أسرارها، بعد ثلاثين سنة فقط، كما تفعل بريطانيا الآن.

ثم انه موقف واحد للشيخ علي، رحمه الله، انا أوقن أنه رجع عنه. ودليل ذلك أنه لما انطفأت هذه الفتنة لم نعد نسمع منه ما يدل على انتسابه الى التيجانية، او دفاعه عنها، بل هو لم يعد يذكرها.

• • •

انما هي صفحات من التاريخ يراد بها ذكر الماضي، لا وصله بالحاضر. ولعلنا نعتبر بها وبأمثالها. فنعمل دائما على جمع الشمل ونبذ الخلاف، والا نجعل اختلافنا في الفروع مفرقا لنا بعد اتفاقنا على الاصول.

ان الشعوب الاسلامية لاتنقاد للزعيم السياسي مثل ما تنقاد للعالم الديني. ولو ان العلماء جميعا راقبوا الله، واخلصوا النية له، وعملوا له وحده، لما استطاع أحد ان ينازعهم القيادة. او ان يزاحمهم على الصدارة، ولبقي الامر في أيديهم. ولما وثقت الشعوب إلا بهم، وما سمعت إلا منهم. ولغدوا هم المرجع لهم، لا رأي لأحد مع رأيهم، ولا منزلة لأحد فوق منزلتهم.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان، ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما

درجة أستاذ
للدكتور محمد الصالح

تنبيه

هذا هو نص مقالة الشيخ على الطنطاوى فى الحلقة ١٩٨ من ذكرياته التى نشرها فى جريدة الشرق الأوسط بتاريخ الخميس ١٩٨٦/٢/٢٧ وكتبها تحت عنوان:

(فتنة التجانية فى الشام والخلاف بين جمعية العلماء والجمعية الغراء).

وقد أخذنا صورة المقالة من الجريدة المذكورة ووضعناها فى أول هذا الكتاب ليطلع القارئ المنصف عليها ثم ينظر بعدها لبطلان دعواه بالحجة والدليل والرد على مسائله بالتفصيل فى صفحات هذا الكتاب الذى أرسلناه له بعد نحو أسبوعين من نشر مقالته وطلبنا منه الرد عليه أو الاعتذار للتجانية ومرت أزيد من عشر سنوات ولم يوفق لفعل أحد الأمرين ومات الشيخ الطنطاوى فى ١٩ ربيع أول ١٤٢٠هـ.

نسأل الله السلامة والعافية.

التحدى الخاوى

فى

مقالة الشيخ على الطنطاوى

تريش بلا شئ شيوخ محارب وما خلتها يوماً تريش ولا تبرى

قال الشيخ على الطنطاوى فى مذكراته فى جريدة الشرق الأوسط الحلقة ١٩٨ التى جعل لها عنواناً (فتنة التجانية فى الشام) قال:

[هب العلماء والمفتون فى محافظات سوريا كلها للرد على هذه الأقوال –أى المنسوبة إلى التجانيين- التى لا شك أنها مخالفة للإسلام وأن معتقدها كافر وجمع السيّد كامل البنى هذه الفتاوى ونشرها فى الرسائل التى أشرت إليها والتى كان يطبعها له أهل الخير ويوزعها فى الناس حتى صارت هذه المسألة شاملة للناس جميعا وموضوع أحاديثهم فى مجالسهم ولم يبق أحد لم يسمع بها ولكن الجمعية الغراء بقيت على حسن رأيها فى الطريقة وصاحبها.

لما كثرت الردود والمقالات نشرت الجمعية الغراء بياناً قالت فيه إن هذه الأقوال مدسوسة على الشيخ التجانى قولاً بلا دليل ولم يقل مثله أحد من أتباع هذه الطريقة من لدن أولها إلى يوم صدور هذا البيان وهذا يشبه ما ادعى قوم من أن ما جاء فى كتب ابن عربى مدسوس عليه مع أن الجملة أو الفقرة المدسوسة كالرقعة فى الثوب تعرف باختلاف قماشها ومنظرها وملمسها ثم إن أقصى ما يمكن أن يدس فى الكلام جملة أو جمل معدودة أو صفحة أما أن يكون الكلام كله مؤتلفاً متشابه الأسلوب متماسك الأفكار متحد الوجهة ثم يدعى أنه دس فيه وأدخل عليه ما ليس منه فدعوى يصعب إثباتها.

لما قرأت هذه الأقوال ووثقت من أنها من صلب الطريقة التجانية تمثلت بالكلمة التى تنسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت نارى ودعوت قنبرا

ولم يكن عندى ناراً أؤججها ولا غلام مثل قنبر مولى على أدعوه ما عندى إلا هذه الأداة التى لا تسيل دماً ولا تقتل عدواً ولا تحرق داراً ولكنها تستطيع أن تصنع ما هو أكبر من ذلك وأعظم خطراً وأكبر نفعاً أو ضرراً هذا القلم فجردت القلم ودخلت المعركة بكلمة حامية تشتعل حروفها ناراً فاطلع عليها بعض إخواننا الناصحين فرأوا بأنه أنفع للناس وأوصل إلى الغاية أن أكتبها بغير هذا القلم فنبذتها وأعدت كتابتها بقلم ليّن سهل وبعثتها إلى السيد كامل البنى وجعل لها عنوانا من عنده هو (الكلمة الحاسمة فى الموضوع).

قلت فيها: لم تشغل مسألة من المسائل الجمهور فى دمشق على اختلاف طبقاته وأفكاره كما شغلته مسألة التجانية هذه ولم يجمع الرأى العام الإسلامى على مسألة من المسائل كما أجمع على البراءة من هذه الطريقة وعلى تكفير من يعتقد هذه الأقوال المنسوبة إليها وعلى لوم طائفة من خيار المسلمين فى دمشق أحسنوا الظن بأصحابها واقتبسوا بعضاً من أفكارها والمسلم لايكلف ولا يجوز أن يكلف نفسه إلا بما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمر به أو فعله أو أقره وليس فى الإسلام شارع بعد رسول الله لأن الدين قد كمل وما بعد الكمال إلا النقص وكل بدعة فى الدين مردودة على من جاء بها.

لم أقل فى هذه المسألة كلمة واحدة على رغم هذه الضجة التى قامت لها ولا يزال دويها يملأ المجالس والمجامع والأسواق وصداها يتردد فى القرى وفى المدن لأنى لم أتثبت من صحة نسبة هذه الأقوال إلى شيخ الطريقة المدعو أحمد التجانى ولأن العلماء الكرام الذين وقعوا المنشور الأخير قالوا إنها مدسوسة على الشيخ أى أنها ليست فى كتبه ولا فى كتب طريقته المعتمدة حتى تفضل الشيخ الشنقيطى فبعث إلىّ من كتب الطريقة التجانية التي يعتمدونها ويستندون إليها فإذا كل هذا الكلام موجود فيها وإذا هو من أسس طريقتهم ولم يرتفع صوت واحد لإنكار نسبته إلى شيخهم وإدعاء براءته منه بل هم معترفون به مقرون بما فيه ولم ينكره ويرتفع بالشيخ عن أن ينسب إليه ويدعى أنه مدسوس عليه إلا هؤلاء العلماء الأجلاء....

الدين الإسلامى يا أخوان هو دين العقل والمنطق والمناظرة والدليل فى ضوء كتاب الله وسنة رسول الله فإذا أخطأ واحد مهما جلَّ قدره أو علت منزلته كالشيخ على الدقر أو الشيخ بدر الدين أو شيخ الأزهر وكان يعرف الصواب واحد مثلى أو أصغر منى أو يعرفه

طفل أو تعرفه امرأة فإن على من عرف الصواب أن يبينه وأن يدل عليه وعلى من لخطأ أن يعود إلى الحق وقد رووا أن عجوزا ردت على عمر فسمع منها ورجع إلى الحق ولا شك أن عمر أفضل وأعلم بالدين من الشيخ على الدقر وشيخ الأزهر والشيخ بدر الدين.

وهذا المبدأ الصوفى الذى يمنح الشيخ ما يشبه العصمة ويمنع تلميذه أن يرد عليه مهما سمع منه ومهما رأى من أعماله المخالفة للدين هذا المبدأ يخالف الإسلام ويجانب ما كان عليه السلف الصالح والصحابة الكرام.

والحجة فى الإسلام لا تكون إلا فى واحد من أربعة:

الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة والإجماع والقياس فإن كان لدى التجانيين ومن يتبعهم حجة من هذه الحجج فليأتوا بها فهل صح عن الرسول عليه الصلاة والسلام ما يزعمونه وهل تنزل به قرآن أو ورد به حديث صحيح أو هو من الابتداع والابتداع فى الدين مردود كله وهل فى الدنيا مسلم واحد يزعم أن صلاة الفاتح تعدل القرآن وهل فى الدنيا مسلم واحد يصدق أن ورد التجانية يدخل قائله ووالديه وأزواجه وذريته الجنة بلا حساب كما جاء فى بعض كتبهم... إلى أن قلت فى آخر المقالة:

أما بعد فإما أن تقرعوا الحجة بالحجة وتردوا الدليل بالدليل وإما أن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه وإما أن تسكتوا وتقروا بالضعف والعجز وأنا على قلة علمى أدعو التجانيين كلهم من أكبر واحد فيهم إلى أصغر من ينتسب إليهم أدعوهم إلى مناظرة عامة على ملأ من الناس ليظهر هل الحق معهم أو مع جمهور المسلمين وبعد فالكلمة الأخيرة فى هذه التجانية أنها كفر وضلال فاختاروا لأنفسكم إما المناظرة المعلنة أو السكوت المخزى واختاروا لأنفسكم إما أن تكونوا تجانيين وإما أن تكونوا مسلمين]. انتهى كلامه.

هذه هى مواقع التحدى فى مقالة الشيخ على الطنطاوى وقد رددنا عليه فى كتابنا هذا بما استأصل شأفته واسكت باطله غير أن لنا بعض تعليق على بعض ما يستند إليه هذا التحدى الفارغ فأقول وعلى الله وحده اعتمد وعليه أتوكل واستند.

أولاً:

إجماع أهل دمشق وباقى محافظات سوريا يساوى إجماع الرأى العام الإسلامى!!!

قال الشيخ الطنطاوى:

[هب العلماء والمفتون فى محافظات سوريا .... حتى صارت هذه المسألة شاملة للناس جميعاً وموضوع أحاديثهم فى مجالسهم ولم يبق أحد لم يسمع بها .... لم تشغل مسألة من المسائل الجمهور فى دمشق علىَ اختلاف طبقاته وأفكاره كما شغلته مسألة التجانية هذه ولم يجمع الرأى العام الإسلامى على مسألة من المسائل كما اجمع على البراءة من هذه الطريقة وعلى تكفير من يعتقد هذه الأقوال المنسوبة إليها وعلى لوم طائفة من خيار المسلمين فى دمشق أحسنوا الظن باصحابها ....

هذه الضجة التى قامت ولا يزال دويها يملأ المجالس والمجامع والأسواق وصداها يتردد فى القرى والمدن].

التعليق:

هون عليك يا أستاذ .... علماء مفتون فى محافظات سوريا.... ما رأيك فى الإمام العلامة الشيخ بدر الدين الحسنى (الذى انعقد الإجماع على أنه شيخ شيوخ علماء سوريا .... وهذا إجماع لا يشك فيه أحد ... لا فى سوريا ولا فى غير سوريا) لقد كان موقفه وتأييده للتجانية ودفاعه عنهم موقف أهل الحق فى الدفاع عن الحق .... وكذلك الشيخ على الدقر وكذلك شيخ الأزهر وقد قلت فى وصفهم أنهمُ أشخاص جلَّ قدرهم وعلت منزلتهم .... وكذلك الشيخ عبد الكريم الرفاعى .... فما قيمة ذلك الإجماع الدمشقى أو السورى الذى تتبجح به ويخالف فيه علماء جلَّ قدرهم وعلت منزلتهم مثل الشيخ بدر الدين الحسنى والشيخ عبدالكريم الرفاعى وغيرهم وغيرهم من أعضاء الجمعية الغراء وهم (طائفة من خيار المسلمين فى دمشق) كما وصفتهم.

وما قيمة إجماع ينعقد بضجيج العامة فى المجالس والأسواق والقرى و .... وهل لأهل المجالس والأسواق حق أو حظ أو نصيب فى عقد الإجماع؟!!! سبحان الله... ما هذه

المهزلة؟!!! علماء جل قدرهم وعلت منزلتهم لا قيمة لدفاعهم عن الطريقة لأن أهل الأسواق أجمعوا على البراءة من الطريقة؟.... ثم سبحان الله ... جمهور دمشق على اختلاف أفكاره مشغول بهذه المسألة!! ... ألم يكن أحرى بالجمهور الدمشقي أن يوحد أفكاره بدل اختلافها إلى أفكار متفقة مع الإسلام وأفكار بعيدة عنه وأفكار مخلوطة إسلاماً مع غير إسلام .... ثم سبحان الله .... هل إجماع علماء دمشق هو إجماع العالم الإسلامي؟!!! هل دمشق هي العالم الإسلامي؟!!! وهل بقية الدول الإسلامية في إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا... لا قيمة لرأيهم لأنه لا يمثل (الرأى العام الإسلامي)؟!!! إلا تستحون؟!! .... ألا تتقون الله؟!!! .... يا أستاذ أنتم مساكين.... إننا نرثى لكم....

ثانياً:
نظرية (رقعة القماش)!!!

قال الشيخ الطنطاوى:

[نشرت الجمعية الغراء بياناً قالت فيه أن هذه الأقوال مدسوسة على الشيخ التجانى قولاً بلا دليل ولم يقل مثله أحد من أتباع هذه الطريقة من لدن أولها إلى يوم صدور هذا البيان وهذا يشبه ما ادعى قوم من أن ما جاء في كتب ابن عربي مدسوس عليه مع أن الجملة أو الفقرة المدسوسة كالرقعة في الثوب تعرف باختلاف قماشها ومنظرها وملمسها ثم إن أقصى ما يمكن أن يدس في الكلام جملة أو جمل معدودة أو صفحة أما أن يكون الكلام كله مؤتلفا متشابه الأسلوب متماسك الأفكار متحد الوجهة ثم يدعى أنه دس فيه وأدخل عليه ما ليس منه فدعوى يصعب اثباتها].

التعليق:

ما شاء الله!!! ما شاء الله!!!.... هذا هو العلم الذى تشد له الرحال وتضرب له أكباد الإبل!!! .... أعلم الناس بمذهبهم.... والمرجوع إليهم في تحقيقه وبيانه يؤكدون أن هذه الأقوال لا تمثلهم ولا هي معتقدهم .. فيكون الرد عليهم عن طريق استخدام نظرية (رقعة القماش) .... كلام إنشائي فارغ ... لا يصلح في المناظرات العلمية ... ولا في إصدار الأحكام الشرعية ... ولو أن قاضياً من قضاة الشرع استخدم نظرية (رقعة القماش) في إدانة متهم

لكان فعله هذا دليلاً كاف فى وجوب عزله من منصب القضاء .... وهل إتباع الهوى إلا هذا؟!! .... وأنظر شرحنا لقضية الدس فى موضعه من ردنا على هذا التحدى الخاوى.

ثالثا:

(قليل العلم)... يتحدى!!!

قال الشيخ الطنطاوى:

[الحجة فى الإسلام لا تكون إلا فى واحد من أربعة: الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة والإجماع والقياس فإن كان لدى التجانيين ومن يتبعهم حجة من هذه الحجج فليأتوا بها ..... فإما أن تقرعوا الحجة بالحجة وتردوا الدليل بالدليل وإما أن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه وإما أن تسكتوا وتقروا بالضعف والعجز وأنا على قلة علمى أدعوا التجانيين كلهم من أكبر واحد فيهم إلى أصغر من ينتسب إليهم أدعوهم إلى مناظرة عامة على ملأ من الناس ليظهر هل الحق معهم أو مع جمهور المسلمين وبعد فالكلمة الأخيرة فى هذه التجانية أنها كفر وضلال فاختاروا لأنفسكم إما المناظرة المعلنة أو السكوت المخزى واختاروا لأنفسكم إما أن تكونوا تجانيين وإما أن تكونوا مسلمين].

التعليق:

لقد ضحكنا كثيراً من هذا التحدى الخاوى الذى لا قيمة له لأن صاحب التحدى يصف نفسه بأنه (قليل العلم) ... ونحن نضيف إلى ذلك (قليل الأدب) أيضاً ... بالله عليكم ما قولكم فى شخص يعترف بأنه (قليل العلم) يتحدى أشخاص يعترف أيضاً أنهم (جلَّ قدرهم وعلت منزلتهم) فيهم (شيخ شيوخ الشام) وفيهم (زعماء النهضة العلمية)... أليس هذا الشخص (قليل الأدب)؟

كلمة أخيرة

لقد نقض التجانيون على صاحب هذا التحدى تحديه فى زمانه ثم أنه بعد مرور خمسين سنة مات فيها الشيوخ الذين ألجموه وأفحموه وأدخلوه فى مقامع السمسم ورموا فى آثاره بالشهب ظن المسكين أن يعيد التحدى مرة أخرى... ولم يعلم أن فى الزوايا خبايا... وأن

الشيوخ الذين اسكتوه فى زمانه قد خلفوا وراءهم من يحمل الراية والروايا... ويدفع عن أهل الحق بإذن أهل الحق أباطيل هذه التحديات الخاوية الهالكة المتهاوية ... كما قال الشاعر:

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

إننا حين قرأنا هذا التحدى فى جريدة الشرق الأوسط لم نرض لأنفسنا بالسكوت المخزى والإقرار بالعجز والضعف بل قبلنا مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل فكتبنا ردًا هذا على تلك الأباطيل وأرسلناه لصاحبها فى مقر إقامته فى مكة المكرمة وذلك بعد نحو أسبوعين من تاريخ نشره لمقاله الفارغ ... وطلبنا منه أن يرد علينا أو أن يعترف بخطئه ويعتذر للتجانيين عن إساءته لهم.

ومرت عشر سنوات ولم يفعل شيئاً من ذلك (لا الرد ولا الاعتذار) ورضى لنفسه بالسكوت المخزى والإقرار اللازم له بالعجز والضعف... ثم قرأنا بعد ذلك فى الصحف خبر موته.... وعند الله تجتمعَ الخصوم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

من أقوال الشيخ سيدى أحمد التجانى

رضى الله عنه

[اعلم أن التصوف هو امتثال الأمر واجتنـاب النهى فى الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى].

جواهر المعانى ج /٢ صـ ٧٥

[لنا قاعدة واحدة عنها تنبئ جميع الأصول أنه لا حكم إلا لله ورسوله ولا عبرة فى الحكم إلا بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم وإن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستنداً لقول الله أو قول رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل قول لعالم لا مستند له من القرآن ولا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل وكلُّ قولةٍ لعالِم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم ولصريح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرامٌ الفتوى بها].

جواهر المعانى ج /٢ ص١٨٩

[إذا سمعتم عنّى شيئاً فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه].

الإفادة الأحمدية ص ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إلى حضرة الأستاذ الشيخ على طنطاوى – هدانا الله وإياه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اطلعنا على مقالكم المنشور فى جريدة الشرق الأوسط الصادرة فى ١٨ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٦/٢/٢٧م تحت عنوان " **فتنة التجانية فى الشام والخلاف بين جمعية العلماء والجمعية الغراء**" وهو الحلقة ١٩٨ من ذكريات الشيخ على الطنطاوى.

وقد كنا نظن أن الشيخ الطنطاوى ممن لا يدخل فى الغمرات حتى يتبيَّن مواقع أقدامه فى كرِّه وإقدامه إلاَّ أنَّ المقالة أثبتت العكس تماماً، ومع أن الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ممن اتفق العلماء على جلالة قدره فى العلم والعمل إلاَّ أنه قد ابتلى بخصوم لا يتورعون عن نسبة كل باطل إليه فبعضه من تعسفات فهمهم، وبعضه من اختلاقهم ومصنوعات إفكهم، وقد كان الظنّ بك، يا أستاذ على طنطاوى أن لا ترمى أحداً من المسلمين بجرح أو تهمة إلا بعد أن تتأكد من صحة ثبوت نسبة القول إلى قائله وأنه مما لا يحتمله دين الإسلام ثم تخلص لله النيَّة وتقوم فى نصرة دين الله...

أما أن تصدّق كل ما قيل لك عن التجانية وتروى كل ما سمعت - وبعض ذلك يجرح فى دين قوم أعلام من أئمة أهل الهدى- فلا يليق بالعاقل فعله، وإن كنت فى تلك الأيام التى أسميتها (فتنة) غافلاً فقد كان الظنّ أنّ مرور السنوات الخمسين وكرور الدهر مما يحملك على التفتيش على أقوال أولئك الخصوم وتبيّن حقيقتها، فإنّ الله قد أعطاك مهلة فى الزمن وفسحة فى الأجل تتبيَّن بها الحق وتتعرَّف بها إلى الصواب، وشيوخ الطريقة ملء الأرض، وكان يمكنك أن تلتقى بهم وهم لا تخلو منهم مكة، من حاج أو معتمر وكان يمكنك أن تكاتبهم وكل ذلك لم تذكر عن نفسك أنك فعلته. فهل ترى أنه من الورع والتقوى أن تسمع لقول الخصوم ثم تكفر التجانيين؟

وأنت تقول أنك كنت مستشاراً فى محكمة النقض فى سورية، ثم محكمة القاهرة فهل المحاكم تقبل بسماع التهمة ولا ترضى بسماع الدفاع؟ ! وقد ذكرت فى مذكراتك أنك كنت إذا استعصت عليك المسائل الفقهية أيام المستشارية كنت تهتف بالشيخ أبى اليسر فيجيبك ويدلّك على المرجع فهّلا فعلت مثل ذلك مع التجانيين!!! مع أنَّ خصوم التجانية لا يعشرونهم علماً وفضلاً ونبلاً – وهو أمرٌ بيّن لكل من عرفهم- وقد ذكرت أنَّ السبب الظاهر فى الخلاف كان قضية الاطعامية فى التكية السليمانية أوقافها وكرانها وجرانها وهو السبب الحقيقى -الظاهر- كما قلتم وكم جرَّت الخصومة المادية إلى خصومة دينية.

على أنك يا أستاذ طنطاوى قد توكأت كثيراً على الشيخ على الدقر العلامة المأمون فى دينه وخلقه وتناقضت فيما ترويه عنه، فحيناً تصفه بضيق الأفق وعدم المعرفة بأحوال الناس..... وحيناً تصفه بالخبير بأحوال الناس والداعية الكبير الذى أخرج الناس من جاهليتهم وحيناً تقول أنه استمر على الطريقة التجانية ولم يتزحزح عنها ..... وحيناً تقول أنك موقن أنه رجع عنها وتركها..... وحيناً تقول أنه ناشر العلم وباعث النهضة العلمية فى الشام..... وحيناً تقول أن الطريقة التجانية التى هو أحد شيوخها نشرت الكفر والضلال..... ودعنى أنقل لك من مقالك ما أصدق بها دعواى عليك:

قلت فى مقالك (العمود- ١ -):

(الشيخ على الدقر صوفى مثالى.

- لا يكثر مخالطة الناس.
- ولا يكاد يعرف واقع حياتهم.
- يعيش فى دائرة ضيقة لا تتجاوز بيته ومسجده وكتبه التى قرأها وأقرأها.
- لا ينظر ولا يحب النظر فى غيرها بين أصحابه وتلاميذه الذين يستمعون منه ما يلقيه عليهم.
- ولا يحدثونه فى غيره إلاّ أن يسألهم فيجيبوه جواب التلميذ المؤدب الذى لا يفيض فى الحديث إلا فيما يعجب الشيخ.
- لا يهتم بالأدب.
- ولا يقر تلاميذه على الاهتمام به خشية أن يصرفهم عن الكتب العلمية التى يراها أنفع لهم

- حتى أن ولده الأديب اللغوى الشيخ عبد الغني الدقر قرأ المعلقات وشرحها وكامل المبرّد كله على الأستاذ عز الدين التنوخي في سنين متعاقبة خفية عنه.
- ولما أخبره ولده الأكبر الشيخ أحمد أن أخاه عبد الغنى قد اشترى "النظرات" للمنفلوطي غضب عليه وعدَّ ذلك انحرافاً منه عن الطريق السوى.
- كان يخشى على تلاميذه كل جديد.
- ويخاف عليهم المزالق.
- ويود لو حصرهم معه فى دائرته)

ثم قلت بعد ذلك:

(والشيخ على الدقر أحد المشايخ الكبار فى الشام).

- الذين كان لهم أكبر الأثر فى نشر العلم.
- وكان أجل الشيخين اللذين قاما بما دعى بنهضة العلماء سنة ١٣٤٣هـ.
- ولم ينسِ الناس ما صنع فى حوارنٍ والبلقاء(شرقى الأردن) حين ردهما الله إلى الدين والعلم بعد ما أوشكت أن تفرقهما جاهلية كالجاهلية الأولى. ولم ينسوا ما تخرّج عنده من علماء ومدرسين وخطباء. وما فتح من مدارس.
- وما كانت تصنع دروسه التى كان الناس يزدحمون عليها ويتسابقون إليها.

فتخشع منها القلوب وتفيض العيون.

فهل كان الشيخ على، على علمه وتقواه وصلاحه يعتقد هذه الأقوال؟)

فهل هنالك تناقض أشد من هذا يا أستاذ..... وقد قلت أيضاً قبل ذلك:

(الشيخ على الدقر والشيخ كامل القصاب من العلماء الدعاة إلى الله ومن أركان التعليم والإرشاد فى الشام رحمهما الله).

وذكرت فى الحلقة رقم ١٩٧ مدحاً فى الشيخ عبد الكريم الرفاعى وهو من رجال الطريقة التجانية فقلت:

(وممن كان لهم فى الصحوة الإسلامية وفى النشاط العلمى فى الشام أعظم الأثر، الشيخ عبد الكريم الرفاعى وهو رجل مخلص متواضع منكر لذاته، عامل لله وهو الذى بدأ بما دعى اليوم (إحياء رسالة المسجد).

وقلت أيضاً فى نفس المقال (عمود - ٤ -):

(والشيخ عبد الكريم الرفاعى والشيخ حسن حنكه وغيرهم كلهم من غرس يد الشيخ على الدقر وكلهم من تلاميذه ومنهم الفقيه الشافعى الشيخ البصروري والمؤرخ الشيخ نايف والشيخ على من تلاميذ الشيخ بدر الدين شيخ علماء الشام رحمهم الله جميعا).

وقديماً قال الشاعر:

*** مدح وذم فى مقام واحدٍ   من واحد ولواحد عجبان ***

ثم تماديت فى الثناء عليهم إلى أن قلت (عمود - ٥ -) من الحلقة ١٩٧:

(إن الذين يدعون إلى الله بلا ضجة ولا إعلان هم المجاهدون هم الجنود المجهلون، هم الذين بنوا هذا الصرح العلمى الذى ردَّ عنا أمداً طويلاً هجمة الإلحاد والفساد.

لقد كانوا يعملون وحدهم لا يريدون أن يراهم الناس ليهتفوا لهم بل أن يراهم الله فيثيبهم ويدخلهم الجنة عرَّفها لهم. إنهم لم يكونوا يعرفون الأساليب التى جدَّت فى الدراسة ليتبعوها ولا الغزوات الفكرية الأجنبية ليردوها ولكنهم عملوا كل ما قدروا عليه.

إن العلوم التى أخذناها عنهم كانت عدَّة لنا نحن الذين عرفوا هذه الأساليب فطبقناها عليها وهذه الغزوات فاستعملناها فى ردِّها، كانوا يعملون لله فجزاهم الله فى الدنيا رفعة ومجداً وجعل الناس يقبلون عليهم ويرجعون فى أمورهم إليهم).

ما شاء الله ..... ما شاء الله قد طبقت عليهم الأساليب التى ذكرتها فأنتج لك تطبيقها أن التجانية كفار.

ودعنى أنقل لك نص كلامك (عمود - ٤ -):

قلت بعد أن شتمت الشيخ التجانى رضى الله عنه ،، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده كما ورد فى الحديث النبوى قلت بعد:

(الدين الإسلامى يا إخوان هو دين العقل والمنطق والمناظرة والدليل فى ضوء كتاب الله وسنة رسول الله، فإذا أخطأ واحدٌ مهما جلَّ قدره كالشيخ على الدقر أو الشيخ بدر الدين أو شيخ الأزهر وكان الصواب واحدٌ مثلى أو أصغر منى أو يعرفه طفل أو تعرفه امرأة، فإنّ على من عرف الصواب أن يبيّنه وأن يدّل عليه، وعلى من أخطأ حتى يعود إلى الحق وقد

رووا أن عجوزاً ردّت على عمر فسمع منها ورجع إلى الحق. ولاشك أن عمر أفضل وأعلم بالدين من الشيخ على الدقر وشيخ الأزهر والشيخ بدر الدين.

وهذا المبدأ الصوفى الذى يمنح الشيخ ما يشبه العصمة ويمنع تلميذه أن يرد عليه مهما سمع منه ومهما رأى من أعماله المخالفة للدين... هذا المبدأ يخالف الإسلام ويجانب ما كان عليه السلف الصالح والصحابة الكرام).

ثم قلت (عمود - ٥ -):

(وأنا على قلة علمى أدعو التجانيين كلهم <u>من أكبر واحد فيهم إلى أصغر مَن ينتسب إليهم</u> أدعوهم إلى مناظرة عامة على ملأ من الناس ليظهر هل الحق معهم أو مع جمهور المسلمين. وبعد فالكلمة الأخيرة فى هذه التجانية أنها كفر وضلال، فاختاروا لأنفسكم، إمّا أن تكونوا تجانيين وإما أن تكونوا مسلمين).

مرحى ... مرحى .. هكذا يكون الأدب مع العلماء أصحاب النهضة العلمية، ويتحدّث من يصف نفسه بقلة علمه فى تسفيه الشيخ على الدقر وشيخ الأزهر والشيخ بدر الدين الحسينى شيخ شيوخ الشام... لقد علمتم الأجيال المعاصرة كيف تكون مع أساتذتها وعلمائها ورؤساء نهضتها ... على أن ذكرك لمعرفة الصواب وكونه معك أو مع من هو أصغر منك أو طفل أو مع امرأة لا مع الشيخ على الدقر ولا شيخ الأزهر ولا الشيخ بدر الدين مما يُتعجَبُ منه .... أهذا هو أسلوب العلماء فى كتاباتهم؟!! أهذا هو أدبهم فى عباراتهم؟!! على أن المسألة الخلافية بين عمر بن الخطاب والمرأة كانت فى أمر التغالى فى المهور وهى كما ترى فرع مسألة فقهية لا يترتب عليها كفرٌ أو إيمان وخلافك مع الشيخ على الدقر والشيخ بدر الدين إنما هو فى مسائل يترتب عليها الحكم بالكفر والإيمان .... فكان المثال الذى ذكرته فى خلاف محله، ومثلاً مضروباً فى غير موضعه.... على أنه يلزمك أن تصحح إسناد هذه القصة، ولن يفيدك ولن يفيدنا شهرتها. فالأحاديث المشتهرة قد يكون فيها الضعيف والموضوع وما لا أصل له وهو أمرٌ معروفٌ عند أهل المصطلح، فأسال به خبيراً، والقصة المذكورة قد تكلّم فيها جماعة من أهل العلم بالأسانيد وزيّفوا أصلها.... فصحّح أولاً، ثم احتج فى محله ثانياً.

وقد ذكرت أن التجانيين فى تلك الأيام لم يدافعوا عن أنفسهم ولم يتمكّنوا من دفع التهمة عنهم، قلت (عمود - ٤-):

(ولم يرتفع صوتٌ واحدٌ لإنكار نسبته إلى شيخهم وإدعاء براءته منه بل هم معترفون به مُقرون بما فيه ولم ينكره ويرتفع بالشيخ عن أن ينسب إليه ويدّع أنه مدسوس عليه إلا هؤلاء العلماء الأجلاء).

وهذا كلام غريبٌ عجيبٌ!! أرأيت مَن أغمض عينيه عن رؤية الشمس طالعة ثم قال: (أين هى الشمس، أنها لا وجود لها لأنى لا أراها ولا أرى ضوءها؟!!) هذا هو عين ما فعلته يا أستاذ. إن المقالات والكتب والرسائل التى ألفت فى الرد على تلك الهجمات التى تعتمد على عدم الإنصاف أكثر من أن تحصر وقد كتب علماء المشرق والمغرب فى ذلك. فماذا علينا إذا كنتم لا تريدون أن تنظروا إلى الشمس طالعة...... واسمح لى فى هذه العجالة أن أسمّى لك بعض تلك الكتب والرسائل.

فمن الذين دبجوا المقالات فى رد هذه الترهات ولا يحصون، منهم:

* الشيخ الإمام محمد المصيلحى من علماء الأزهر الشريف.

* الشيخ أحمد عبد المنعم خفاجى أستاذ اللغة العربية بالأزهر الشريف.

* الشيخ العلامة الصديق عمر الأزهرى وقد رد نثراً وشعراً وكان شاعراً مفلقاً.

* علامة السودان الشيخ مرزوق الأنصارى.

وغير هؤلاء ممن قام فى نصرة الحق..... خلق كثير.

وأما الكتب التى ألفت فى الرد على أولئك الخصوم فمنها:

* **السيف الصقيل الربانى فى نقض مشتهى الخارف الجانى**

تأليف الشيخ حسين الطماوى رداً على الخضر الشنقيطى.

* **هدم مشتهى الخارف من الأساس وقطع دابره من أيدى الناس.**

* **السر الربانى لرد ترهات ابن ما يابى العانى.**

للشيخ الفقيه العلامة المحدث أجل علماء المغرب الإمام أحمد سكيرج العياشى.

* **القول المصيب فى رد ما قاله محب الدين الخطيب.**

لفضيلة الشيخ العلامة مجذوب المدثر الحجاز، شيخ علماء السودان ونائب مدير الجامعة الإسلامية بأمدرمان بالسودان.

* **الرد المستبين فى دحض افتراءات محب الدين.**

للشيخ العلامة الأديب أحمد البشير ابن شيخ المفتين بالسودان الشيخ الطيب هاشم.

* **قمع أهواء المتعصب.**

للشيخ العلامة سلطان مناشو .

* **رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين.**

للشيخ الإمام الفقيه العلامة شيخ المحدثين محمد الحافظ التجانى.

* **الانتصاف**، له أيضاً.

* **الجيوش الطلع بالمرهفات القطَّع.**

وغير ذلك كثير.

على أنّ ما يهمنا فى هذا الوقت هو مناقشتكم و مباحثتكم علمياً فيما ورد فى مقالكم المذكور، وستجدون مباحثتنا على قاعدة العلم، بعيدة عن المهاترات والسباب. فأقول وبالله الحول والقوة:

لقد درج علماء السلف ومن تبعهم بإحسان من علماء الخلف على تحرى الأمانة فيما ينقلون بحيث يطمئن المرء إلى ما ينقلونه، ولذلك قد اشتهر بينهم (**العلماء مأمونون على ما نقلوا مبحوثٌ معهم فيما قالوا**) فقيمة العالم صدقه وأمانته.... وإن اجتهد فى فهم مسألة فأخطأ الصواب فى فهمها فلا حرج عليه ما دام لم يخرج عن القواعد الشرعية المعتبرة عند العلماء. وقد ناقش بعضهم بعضاً وردَّ بعضهم على بعض وقد يشتد البعض فى الردّ لكنهم مع كل ذلك أمناء فيما ينقلون عن خصومهم مخلصون فى نصرة ما يرون أنه الحق بحسب فهمهم فإن أصابوا فلهم أجر المصيب المخلص وإن أخطأوا فلن يفوتهم أجر اجتهادهم فى طلب الحق بإخلاص.

وقد شنّ خصوم السادة التجانية عليهم غارات وغارات باءت كلها بالفشل فتبيَّن لكل منصف بطلان تلك التهم التى ينسبونها إلى الطريقة التجانية.

والأمر المقطوع به أنه لا يوجد تجانيٌ واحدٌ يعتقد أنَّ صلاة الفاتح من القرآن أو أفضل من القرآن أو تعدل القرآن، أو أن الشيخ التجانى أفضل من الرسل والأنبياء أو الصحابة أو أن الشيخ كان يتلقى وحى النبوة أو أن النبى صلى الله عليه وسلم كتم ما أمر بتبليغه... أو .. أو .... أو .. من جميع ما يخالف ما هو معلومٌ من الدين بالضرورة واسمح لنا أن نبيّن لكم القاعدة العلمية التى هى حقيقة موقفنا وموقف العلماء المنصفين، وهى الحكم الشرعى فى كل ما ينسب لمسلم من المسلمين فقيهاً كان أو محدثاً أو متكلماً أو صوفياً، يستوى فى ذلك سيدى أحمد التجانى وغيره وهى: أنه إذا نُسب إلى أىّ مسلم كلام يمكن حمله على ما يطابق الشريعة ويمكن حمله على ما يخالف الشريعة، فإننا نحمله على ما يطابق الشريعة.

وقد سئل سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه: أيُكذب عليك؟

قال: [نعم، إذا سمعتم عنّى شيئاً فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه].

فقد أعلن أنَّ ما يخالف الشرع فهو مكذوب عليه لأنه فى نفسه متقيّد بالشرع راجع إليه وقد شهد العدول المعاصرون له بذلك، وأنّ الميزان بينه وبين أصحابه هو شرع الله عز وجل.

على أن كثيراً مما ينسب إليه رضى الله عنه مكذوبٌ عليه ونسبته إليه باطلة وإنما هو كلام مصنوع مولدٌ مفترى .. الله حسيب من يختلقه، وبعض ما يُنسب إليه مُدلسٌ فيه تدليساً يَسِمُ فاعله بسمة التزوير فيقتطع من الكلام ما يفيد براءة الشيخ ويترك باقيه كمن يقرأ

﴿لا تقربوا الصلاة﴾ ويترك **﴿وأنتم سُكارى﴾**، أو يقول **﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾** ويترك ما قبلها **﴿لقد كفر الذين قالوا﴾**.... وبعض كلامه فُهِمَ على غير وجهه بتمحلات وتعسفات تأباها القواعد العلمية.

ونحن نرجو ألا تثير مباحثتنا لك غضباً أو حمية، فالظن بك إن شاء الله كما هو بكل مسلم أنك تتبع الحق عند ظهوره، والظن بك أيضاً كما هو بكل مسلم أنك لا تحب الوقوع فى أعراض الناس فضلاً عن أولياء الله تعالى.

ومادة الإنصاف التى هى جبلة أهل الحق تقتضى منهم ما ذكرناه، وإنما نخاطب فيك الإنصاف وندعو أنفسنا وإياك إلى تحكيم نصوص الشرع الشريف ولا بأس بالناس أن يختلفوا وتتباين اجتهاداتهم ما دام مقصدهم الحق، مخلصين فى ذلك الوجهة إلى الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله

رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة

ذكرت فى مقالك ما يلى نصه:

(ورد فى صحيفة (٤٠) أنه أخذ الطريقة منه صلى الله عليه وسلم من غير واسطة يقظة لا مناماً. ألا يذهب هذا الكلام العقل والدين؟ كيف أخذ منه وقد مات صلى الله عليه وسلم؟ أم يدَّعى بأنه ما يزال حياً؟ كما يقول بعض الجهلة فى خطب الجمعة يزعمون أنه حىّ فى قبره مثل حياته فى هذه الدنيا، وحياتنا التى نحن فيها أى أنه يأكل ويشرب ويتنفس. أفلا يذهب هذا الكلام بالعقل والدين؟ وهل يحتاج إثبات وفاته صلى الله عليه وسلم إلى دليل؟ وإذا لم يمت فكيف غسلوه وصلوا عليه ودفنوه ونصبوا أبا بكر خليفة له؟ هل يحتاج هذا إلى إثبات إلا عند المجانين؟).

ويفهم – يا أستاذ على طنطاوى – من كلامك السابق ما يلى:

(١) أنّ اعتقاد الأخذ عنه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة يُذهب بالعقل والدين- يعنى مجنوناً وكافراً.

(٢) أنّ حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره لا يقول بها إلا الجهلة. ومن اعتقد ذلك فقد ذهب عقله ودينه – يعني مجنون وكافر.

(٣) ثم ذهبت تقيم الأدلة على موته صلى الله عليه وسلم بأنه غُسل وصلى عليه ودُفن وأقيم أبوبكر خليفة.

(٤) ثم رجعت فذكرت كلمة المجانين مرة أخرى.

وأنا يا أستاذ – طنطاوى – لن أناقشك فى ما هو أدب العلم وأدب العلماء فى كلامهم واختيارهم لعباراتهم وحسن أسلوبهم..... ولا أعتقد أنك تحتاج إلى تنبيه إلى أنّ العالم المسلم عفّ القلم عفّ اللسان وقد صحّ عنه صلى الله عليه وسلم: (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**). ولكنىّ سوف أناقشك فى مسألة الاجتماع بالنبىّ صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وتكفيرك لمن يعتقدها. هل تعلم يا أستاذ على - أن من الذين يعتقدون هذا جماعة من العلماء الأجلة- وسوف أذكر فيما يلى بعض أسمائهم:

١/ العلامة المحدّث الكبير الحافظ أبو عبد الله بن أبى جمرة – ذكر ذلك فى كتابه **(شرح مختصر صحيح البخارى) الذى سمّاه (بهجة النفوس).**

٢/ العلامة الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي- وقد أفرد هذه المسألة بكتاب ألفه اسمه **(تنوير الحلك فى رؤية النبىّ والملك)** والكتاب مطبوع ضمن مجموعة الحاوى فى الفتاوى.

٣/ الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي- ذكر ذلك فى كتابه **(المنقذ من الضلال)**.

٤/ الإمام العلامة ابن الحاج- وذكر ذلك فى كتابه **(المدخل)**.

٥/ الإمام الحافظ ابن حجر الهيثمى المكى فى كتابه **(الفتاوى الحديثية)**.

٦/ القاضى أبو بكر بن العربى الفقيه المالكى- ذكره فى كتابه**(قانون التأويل)**.

٧/ القاضى شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزى - ذكره فى كتابه **(توثيق عُرى الإيمان)**.

٨/ الشيخ الإمام العلامة عفيف الدين اليافعى فى كتابه **(روض الرياحين)**.

٩/ الشيخ العلامة كمال الدين الأدفوى فى كتابه **(الطالع السعيد)**.

وغير هؤلاء خلائق. وأما الذين نقل عنهم أنهم كانوا يجتمعون بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل الشيخ أحمد التجانى فخلق كثير.

فهل تعتقد يا أستاذ طنطاوى أن جميع هؤلاء الأئمة الأجلة وهم شيوخ الفقه والحديث والتفسير وقد نشروا علماً جماً. وهل تعتقد فى جميعهم أنهم مجانين وكُفّار. الحافظ ابن أبى جمرة والحافظ الهيثمى والحافظ السيوطى واليافعى والبارزى وغيرهم وغيرهم، كل هؤلاء مجانين، وكفار ... ألا رحم الله امرأ عرف قدر نفسه...... إنَّ تقرير هذه المسألة ليس فقه الشيخ على الدقر أو الشيخ بدر الدين الحسينى أو شيوخ الطريقة، وإنما هى مسألة نظر فيها الناس قديماً وأفتى فيها كلٌّ بحسب مؤدّى اجتهاده... ولك أن تجتهد مثلهم ولك أن تخالفهم ولكن وصفهم بالجنون والكفر لا يليق بأدب العلماء فى بحوثهم العلمية.

وأنت إذا حققت يا شيخ على طنطاوى لوجدت أنَّ الحق معهم وأنهم مؤيَّدون بالنصوص الشرعية بأصح الأسانيد وقد طلبت الناس أن يقارعوك الحجّة ويردوك بالدليل .... فدعنى أذكر لك بعض أدلتهم فى ذلك فإن كنت تطلب الحق فلن يعجزك أن تتبعه وهو الذى نرجوه لك وليس بعيب أن ينتصف الإنسان للحق من نفسه.

أخرج البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى)**.

وأخرج الطبرانى مثله من حديث مالك بن عبد الله الخثعمى ومن حديث أبى بكرة وأخرج الدارمى مثله من حديث أبى قتادة الأنصارى.

وهذا الحديث هو مستند القائلين بجواز رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة... ومن كان دليله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما على المحسنين من سبيل. وهم قد احتجوا بهذا الحديث وفهموه على قواعد اللسان العربى الذى كان يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلكوا فيه مسالك الحدس والافتراضات. فإنّ رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة من الممكنات التى تدخل تحت القدرة الإلهية. والقاعدة التى جرى عليها المحققون من علماء المذاهب المختلفة أنّ الممكن الذى يدخل تحت القدرة الإلهية لا يمكن إخراجه من هذا الإمكان إلاّ بنص صريح.

ولا يختلف أهل العلم فى أنّ رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظةً والتلقى عنه بوجه لا يترتب عليه محال يُعد من الممكنات التى يجوز أن يتفضل الله بها على من يشاء من عباده فليس ثمة ما يحيل ذلك لا عقلاً ولا شرعاً فلا يزال الإمكان العقلى والشرعى قائماً فى وجه من ينكر هذه المسألة.

وكتب السنة مشحونة بأنّ رؤياه صلى الله عليه وسلم حق وأنّ الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم. وقد يخيّل الشيطان لبعض الناس أنّ الله يخاطبه ولا يمكنه ذلك فيه صلى الله عليه وسلم، لأنّ الحق سبحانه وتعالى منزه عن الصور فلا يدخل فى ذلك اللبس على المؤمن والرسول صلى الله عليه وسلم بشر .... ومثل ذلك من ادّعى الألوهية قد يجرى خارق العادة على يده ولا يجرى على يد مدعى النبوة كذباً لظهور بطلان دعوى مدعى الألوهية فلا لبس فيها ولكن خرق العادة لو أجرى على يد كاذب لالتبس الأمر ولما عرف الصادق من الكاذب.

فمن زعم أنّ الشيطان يظهر لأحد فى النوم أو اليقظة مدعياً أنه هو صلى الله عليه وسلم فهو مصادم للسنة الصحيحة، قال صلى الله عليه وسلم **(إنّ الشيطان لا يتمثل بي)** والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب- ومَنْ مَنَّ الله عليه من أهل الإيمان والتقوى بكثرة

الاجتماع به صلى الله عليه وسلم فى النوم واليقظة فهذه حالٌ ظاهرة فى الدلالة على اعتناء الحق تبارك وتعالى بصاحبها. وقد ثبت فى الشريعة أن هذا الاجتماع حق لا مدخل للشيطان فيه، وهو نتيجة للصدق فى محبته صلى الله عليه وسلم مع المتابعة الحقة. وقد صحَ عند أهل الحق أن هذا الاجتماع ثابت لمن شاء الله فى الدنيا والآخرة.... عرف مَن عرف وجهل من جهل.... ولا يضير الحقيقة جهل الجاهلين بها ولا يمكن أن يكون المحروم من هذا الفضل حجة على مَنْ مَنَّ الله عليه به، وإنما يكون مَن علم حجة على مَن لم يعلم.

فيا أستاذ على طنطاوى هذا هو النص الشرعى عنه صلى الله عليه وسلم وهو صحيح فى أعلى درجات الصحة رواه البخارى ومسلم وغيرهما وهو ناطق بصحة الاجتماع به صلى الله عليه وسلم فى اليقظة، فإن كنت ممن يرضى بتحكيم النص الشرعى فها هو النص الشرعى ولم يبق إلاّ الإتباع وقد قال تعالى:

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم:

(الأرواح جنود مجندة فما تعارف منا ائتلف وما تناكر منها اختلف).

رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود

وها قد وضح يا أستاذ على طنطاوى أنّ القوم معهم دليل شرعى صحيح وأنهم متبعون للسنة فيما يقولون فما هو دليل حضرتكم فى معارضة السنة؟؟

وما هى شبهتكم فى رد هذا الحديث الصحيح فى رؤية اليقظة.

وقد تعسّف أناسٌ فقالوا أن كلمة اليقظة فى الحديث معناها يوم القيامة فأخرجوا بذلك اللفظ عن مدلوله الذى وضع له فى اللسان العربى الذى كان يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإحالة اللفظ عن مدلوله بغير موجب يوجب ذلك لا يمشى مع القواعد العلمية، وأيضاً فإنَّ لفظ (اليقظة) فى هذا الحديث جاء فى مقابل لفظ (المنام) فلو سلّمنا لهم أنّ (اليقظة) معناها يوم القيامة فينبغى أن يكون لفظ (المنام) معناه الدار الدنيا.... وإذا انتهى بنا الأمر إلى مثل هذا الفهم نكون قد خرجنا من العلم إلى الهوى وحصلنا فى القرمطة.

ولماذا يهلهل النص بمثل هذا الفهم غير المستقيم؟ ما الهدف؟ ثم أننا لو قبلنا هذا الفهم فإنَّ الناس كلهم يوم القيامة يرونه صلى الله عليه وسلم، مَن رآه منهم فى المنام ومن لم يره، فلا اختصاص لرائيه فى المنام بشيء فى هذا المقام، فإنّ غيره يشاركه فيه.

وأما القول بأنّ من رآه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة يلزم منه أن يكون صحابياً، ولبقيت الصحبة إلى يوم القيامة فهو قول ساقط متهافت. فإنّ شرط الصحبة أن يكون الرائى قد اجتمع به فى حياته صلى الله عليه وسلم فى عالم الملك قبل انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

أما رؤيته صلى الله عليه وسلم وهو فى عالم الملكوت فى الدار الآخرة فلا تفيد الصحبة، وراجع إن شئت تحقيق الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى.

أما الاعتراض بأنه يلزم من رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة أن ينتقل من مكانه الشريف ويقتضى ذلك وجوده فى عدة أماكن فى وقت واحد فهو اعتراض مردود أيضاً. فإنه صلى الله عليه وسلم يُرى من مختلف الأقطار وهو فى مكانه لم ينتقل عنه كالشمس ترى من أمكنة متباعدة وهى فى مكانها.

ويصح أن يمدّ الله العبد وهو فى مشرق الأرض أو مغربها بنور من عنده حتى يكشف له عن ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو فى مكانه. وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه نادى فوق المنبر (**يا سارية الجبل**) فسمعه سارية وسارية بنهاوند، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه "الإصابة فى تمييز الصحابة" وقال إن إسنادها حسن وقد صححه غير الحافظ منهم الشيخ ناصر الدين الألبانى فى سلسلته الصحيحة.

ونحن لا نستطيع أن نفهم الهدف من هذه المحاولات لإخراج الحديث عن معناه وإحالة ظاهره. ومن الغريب العجيب أنّ بعض من تحسبهم ممن ينسب إلى العلم إذا وقع على أحاديث الصفات كاليد والعين والساق والصوت وغير ذلك مما ثبت فى السنة الصحيحة يبقيه على ظاهره ويأبى إحالته ثم هو يُحيل ظاهر حديث رؤية اليقظة مع أنها من الأمور الممكنات التى تدخل تحت حيطة القدرة الإلهية .... فهل من تفسير لهذا الموقف الغريب والمسلك الذى يقضى منه العجب؟

وقد ذكر بعضهم أن رؤيته صلى الله عليه وسلم لو كانت تصح فى اليقظة لكان الأولى أن يراه المهاجرون والأنصار الذين اختلفوا فى سقيفة بنى ساعدة ومعاوية وعلىّ اللذان اقتتلا فى صفين، وعائشة وطلحة والزبير وعلىّ وقد اقتتلوا فى وقعة الجمل، فلمّا لم يروه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فثبت أن رؤية اليقظة مستحيلة.... ويقال لمن يسلك هذا الفهم أن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام حق لا خلاف فيه، فلماذا لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه فى النوم ويحل لهم الخلاف والمشكلات التى وقعت بينهم وكذلك يقال فى الخلاف بين علىّ وعائشة لِمَ لم يروا النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وهى رؤية حق ويحلّ لهم مشاكلهم.... فإن التزموا باستحالة رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام واليقظة معاً، يكون قد سقط الكلام معهم،..... والجواب عن عدم رؤيتهم فى النوم له صلى الله عليه وسلم هو الجواب عن عدم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فحكمها واحد.

ثم لتعلم يا أستاذ على طنطاوى أنّ الذين يثبتون رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد وفاته يسوون بينها وبين رؤية المنام فى الحكم الشرعى من حيث وجوب عرض ما يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم على الشريعة، فما أقرته الشريعة أخذ به وما لم تُقرّه لا يؤخذ به.... فلا تعتبر دليلاً بنفسها بل لابدّ من عرضها على الأصول والقواعد الشرعية فالقواعد الشرعية هى الحجة وتكون إذ ذاك فى حكم الرؤية المؤوّلة تؤول بما يوافق الشرع ولا يؤخذ بظاهرها، ولا يقال أنها دخلها شيطان فإنّ الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم، ولا يتخيّل به ولا يتراءى به ولا يتزايا به، وكل ذلك قد ورد فى النصوص بالأسانيد الصحيحة.

فكل رؤيته صلى الله عليه وسلم حق وهى إما صحيحة غير مؤولة أو صحيحة مؤولة. فأما الصحيحة الصريحة فلكونها صريحة فلا موجب للتأويل وأما الأخرى فهى رؤية صحيحة لقوله عليه الصلاة والسلام **(من رآنى فى المنام فقد رآنى فإنّ الشيطان لا يتمثل بى)** وهى رؤية مؤولة لأنّ ظاهرها لا يوافق الشرع فهى صحيحة مؤولة وهذا هو الذى عليه المحققون من العلماء.

وراجع ما ذكره الإمام الزرقانى فى شرحه على موطأ مالك فى مبحث زكاة الركاز وكذلك الحافظ السيوطى فى كتابه (**تنوير الحوالك بشرح موطأ مالك**) وكذلك الشيخ العطار فى حاشيته على (**جمع الجوامع**) وكذلك ما ذكره أبو عبد الله قنون فى تعليقه على الموطأ.

وأما الزعم بأنّ أحداً من الصحابة لم يره صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته فلا يمكن أن يقام على هذا النفى دليل فإنه أمرٌ جائز فى نفسه وهو من الأمور الخصوصية وعدم نقله عنهم لا يدل على عدم وقوعه، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصرّحون بمزاياهم ويؤثرون عدم إظهارها.

وقد كان عمران بن حصين رضى الله عنهما يرى الملائكة يقظة وكانت تسلّم عليه ولم يخبر بذلك إلا عند موته، وقصته رواها مسلم فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وصححه وأبو نعيم والبيهقى فى دلائل النبوة وابن سعد فى طبقاته.

ومع هذا فقد روى الطبرانى بسند حسن عن ضمرة بن ثعلبة (**أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلّم فقال أدع الله لى بالشهادة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم، اللهم حرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار قال فكنت أحمل فى عرض القوم فيتراءى لى النبى صلى الله عليه وسلم خلفهم، فقيل: يا ابن ثعلبة إنك لتغرّر وتحمل على القوم، فقال: إنّ النبى صلى الله عليه وسلم يتراءى لى خلفهم فأحمل عليهم حتى أقف عنده ثم يتراءى لى أصحابى فأحمل حتى أكون مع أصحابى، قال فعُمّر زماناً طويلاً من دهره**) قال الحافظ نور الدين الهيثمى فى كتابه (**مجمع الزوائد على الكتب الستة**): رواه الطبرانى وإسناده حسن.

وها هى ذى الملائكة معنا فى الوجود ولا نراهم إلاّ بخرق العادة فكذلك الاجتماع بأهل الآخرة يكون خارقاً للعادة وهو أمر جائز عقلاً وشرعاً ولا يترتب عليه محال وأخبر بوقوعه العدول الثقات فلا حرج على المنصف من التصديق به ولنختم لك هذا المبحث بكلام العلامة الحافظ ابن حجر فى كتابه "**الفتاوى الحديثية**" فقد سئل هل تمكن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة؟ فاجاب بقوله:

[أنكر ذلك جماعة وجوّزه آخرون وهو الحق فقد أخبر بذلك من لا يتّهم من الصالحين بل استدل بحديث البخارى (من رآني فى المنام فسيرانى فى اليقظة): أى بعين رأسه وقيل بعين قلبه واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة على أنه لا فائدة فى التقييد

حينئذ لأنّ أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه فى المنام ومن لم يره فى المنام وفى شرح ابن أبى جمرة للأحاديث التى انتقاها من البخارى ترجيح بقاء الحديث على عمومه فى حياته ومماته لمن له أهلية الاتباع للسنة ولغيره، ومن يدعى الخصوص بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فقد تعسّف ثم ألزم منكر ذلك بأنه غير مصدّق بقول الصادق وبأنه جاهل بقدرة القادر وبأنه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة ومراده بعموم ذلك وقوع ذلك رؤية اليقظة، الموعود بها لمن رآه فى النوم ولو مرة واحدة تحقيقاً لوعده الشريف الذى لا يخلف وأكثر ما يقع ذلك للعامة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاءاً بوعده. وأما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقلة أو بكثرة بحسب تأهلهم وتعقلهم واتباعهم للسنة إذ الإخلال بها مانع كبير]. إنتهى ما نقلناه لك وبه يتبيَّن الحق لمن يطلبه وينتصف له من نفسه.

حياة الأنبياء فى قبورهم

أما قولك أنه لا يعتقد بحياة الأنبياء فى قبورهم إلاّ الجهلة، فسأوريك يا أستاذ طنطاوى مَن هم الجهلة المصادمون لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم هم يملأون الأرض دعوى عريضة أنهم أهل العلم الآخذين بحُجُزه.

صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء).

الحديث، أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأحمد فى مسنده وابن أبى عاصم فى الصلاة له، وأبو داوود، والنسائي وابن ماجة فى سننهم والطبرانى فى معجمه وابن خزيمة والبيهقى فى "حياة الأنبياء" "وفى شعب الإيمان" والحاكم صححه قال: على شرط البخارى وأقر تصحيحه الحافظ الذهبى وصححه أيضاً الإمام النووى فى كتابه "الأذكار" والحافظ عبد الغنى بن سعيد، والقرطبى فى "التذكرة" وابن دحية وقال أنه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل، وقال إمام المحدثين، الشيخ ابن جعفر الكتانى فى كتابه "**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**" ما نصه:

[(أحاديث حياة الأنبياء فى قبورهم، قال السيوطى فى "**مرقاة الصعود**" تواترت بها الأخبار، وقال فى "**إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء**" ما نصه: حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة فى ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك].

وحديث (**مررت على موسى ليلة أسرى بى وهو قائم يصلى فى قبره**). رواه مسلم فى الصحيح. وحديث صاحب الرمانة الذى سأل ربه وقت الأجل أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض إليه سبيلاً حتى يبعث وهو ساجد، فاستجاب الله له وقبضه ساجداً ولم يجعل للأرض إليه سبيلا حتى يبعثه يوم القيامة ساجداً. قال فيه الشيخ ابن القيم فى "**شفاء العليل**" ،،: الإسناد صحيح ومعناه صحيح لا ريب فيه.

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية فى كتابه "**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**" أن سعيد بن المسيب التابعى الجليل كان يسمع الأذان والإقامة من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرَّة، وكذا أخرجه الزبير بن بكار فى "أخبار المدينة" عن سعيد بن المسيب وكذا أخرجه ابن سعد فى طبقاته، والدارمى فى مسنده.

وقال الشيخ الإمام تقى الدين السبكى [حياة الأنبياء والشهداء فى قبورهم كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة موسى فى قبره فإن الصلاة تستدعى جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الإسراء، كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونه حقيقة، أن تكون الأبدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب. وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أنّ ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى].

وقال الشيخ الإمام الحجة أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى الفقيه الأصولى شيخ الشافعية فى زمانه قال:

[قال المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم حيٌّ بعد وفاته].

فالقول بحياته صلى الله عليه وسلم فى قبره ليس هو قول الجهلة الذين ذهب عقلهم ودينهم يا أستاذ طنطاوى بل هو قول المحققين كما قال الإمام عبد القاهر البغدادى الشافعى، وإنما الجهلة هم الذين يصادمون السنة الصحيحة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونهم يملأون الأرض دعوى عريضة بأنهم متبعون ....و .... وأين الإتباع مع تجهيل من يقف مع النص؟؟!.

دخول الجنة بلا حساب

ذكرت فى مقالك:

(هل فى الدنيا مسلمٌ واحد يصدّق أنّ ورد التجانية يدخل قائله ووالديه وأزواجه وذريته الجنة بلا حساب كما جاء فى بعض كتبهم).

هذا يا أستاذ ما ذكرت عن نفسك أنك قلته قبل أربع وخمسين سنة. وكنا نظن أن مرور هذه السنوات قد زادك علماً. ولكن ها قد تبيَّن أنك الآن كما كنت منذ أزمان ورحم الله القائل:

*** فهم فى السُرَى لم يبرحوا من مكانهم وقد أمعنوا فى السير عنه وقد كلّوا**

ما هو الذى تنكره على التجانيين يا أستاذ؟ هل تنكر عليهم أن يكونوا فى الزمرة التى تدخل الجنة بلا حساب؟ أو تنكر أن يوجد زمرة تدخل الجنة بلا حساب؟

فإنْ كنت ممن ينكر وجود زمرة تدخل الجنة بلا حساب ولا تعتقد ذلك أصلاً فاسمح لنا أن ننبهكم إلى أنكم باعتقادكم هذا تكونون مصادمين للسنة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب وقد نص على تواتره حفاظ الحديث الذين هم أعلم الناس بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وراجع إن شئت كتاب "**الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة**" للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى وكذلك كتاب "**نظم المتناثر من الحديث المتواتر**" لشيخ الإسلام وعمدة المحدثين محمد بن جعفر الكتانى.

وقد ثبت فى الصحيحين - البخارى ومسلم- أن فى هذه الزمرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، ووقع فى غير الصحيحين أنّ مع السبعين ألفاً زيادة عليهم ففى حديث أبى هريرة عند أحمد والبيهقى فى البعث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(سألت ربى فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضىء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر فاستزدت ربّى فزادنى مع كل ألف سبعين ألفاً) قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: سنده جيّد.

وأخرج الترمذى وحسّنه والطبرانى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى أمامة رفعه:

(وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً مع كل ألف سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربى).

وفى صحيح ابن حبان والطبرانى بسند جيّد من حديث عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه نحوه بلفظ **(ثم يشفع كل ألف فى سبعين ألفاً ثم يحثى ربى ثلاث حثيات بكفيه)** وفيه فكّبر عمر فقال النبى صلى الله عليه وسلم:

(إن السبعين ألفاً يشفعهم الله تعالى فى آبائهم وأمهاتهم وعشائرهم وإنى لأرجو أن يكون أدنى أمتى الحثيات).

وعند الطبرانى **(أن السبعين الأول يشفعهم الله فى آبائهم وأبنائهم وعشيرتهم).**

وأخرج الإمام أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث رفاعة الجهنى قال:

(أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالكديد أو قال بالقديد فذكر حديثاً وفيه: ثم قال "وعدني ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب وإنى لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوّؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن من الجنة).

قال الحافظ المقدسى: هذا عندى على شرط مسلم.

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **(يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً، قالوا: زدنا يا رسول الله، قال: لكل رجل سبعون ألفاً، قالوا زدنا وكان على كثيب فقال: هكذا وحثى بيديه، قالوا يا رسول الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا)** رواه الحافظ أبو يعلى وقال الحافظ ابن كثير: إسناده جيّد.

فما هو وجه اعتراضك يا أستاذ طنطاوى:

* إن كان على وجود هذه الزمرة فأنت مصادم للسنة المتواترة.

* وإن كان على أن آباءهم وأمهاتهم وأبناءهم وعشائرهم معهم فأنت مصادم للسنة أيضاً.

* وإن كنت تعتقد أنَّ هذا الفضل لا ينال التجانيين فقديماً قيل: إن كنت مدعياً فالدليل، فما هو دليل حضرتكم على أنَّ التجانيين لا ينالهم هذا الفضل، والحال أنهم مؤمنون بالله ورسوله ويؤدون الفرائض ويتقربون بالنوافل ولا يعتقدون أن

صلاة الفاتح من القرآن ولا أفضل منه ولا أن الشيخ أفضل من الصحابة ولا .. ولا .. من كل ما يخالف الشرع، فهل عندكم من دليل أنَّ قوماً هذه صفتهم لا ينالهم هذا الفضل؟

أما التجانيون فإنهم قد صدَّقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله:

(لم يبق من النبوات إلاَّ المبشرات، قالوا: وما المبشرات قال: الرؤيا الصالحة) رواه البخارى، وأخرج مسلم وأبو داوود والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما:

(إن النبى صلى الله عليه وسلم كشف الستارة ورأسه معصوب فى مرضه الذى مات فيه والناس صفوف خلف أبى بكر فقال:

أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له).

وقد قال الله تعالى:

﴿ ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾.

وعند الإمام أحمد عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) قال:

(الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له) وقال الترمذى هذا حديث حسن.

وفى صحيح البخارى: **(الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة).**

وقد صدَّق التجانيون ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا وسمعوا فى الرؤيا الصالحة ما يصدقهم فيه أو يسلمه لهم من ليس بسيئ الظن بالمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ولن يضيرهم أن لا يصدقهم من غص بحسده لهم على ما نالوه من فضل الله تعالى وجوده وكرمه. وكان ينبغى على من حُرم هذا الفضل أن لا يعترض على مَن أوتيه، ولكن قديماً قيل:

*** يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن ***

ولنختم لك -يا أستاذ- هذا المبحث بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى بيان كيف ينال الفضل الإلهى مَن لم يكن محسناً دع عنك من أخلص وجهه لله وهو محسن حتى تعلم يا

أستاذ أنه لا تحجير على فضل الله تعالى فلا تقول كما قال الأعرابى (**اللهم ارحمنى وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً**).

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله **عليه** وسلم:

(إنَّ لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله، تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .. (الحديث) وفيه .. فيقول فأشهدكم أنى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة:

فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة: قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم) هذا هو لفظ البخارى وفى رواية مسلم قال: (إن لله ملائكة سيَّارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم.. (الحديث وفى آخره) .. يقولون ربّ فيهم فلان عبد خطّاء إنما مرَّ فجلس معهم قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

فهذا الرجل الذى مرَّ وجلس ليس من الذاكرين بشهادة الملائكة المعصومين وهو عبد خطّاء بصيغة المبالغة وقد ألحق بهم.

مَن كانت له أذن للسمع فليسمع ومن كان لديه ذرة من الإنصاف فلينصف.

شُبهات حول صلاة الفاتح

قلت في مقالك:

(وفى الإفادة الأحمدية صفحة (٨٠) أنّ صلاة الفاتح من كلام الله فخبرونى أيقول هذا مسلم وإن كانت من كلام الله فكيف وصلت إلى التجانى هذا؟ أوحىٌ بعد رسول الله أم افتراء على الله؟).

والجواب عليه إنما يكون على مقامين (مع التنبيه إلى أنّ أقلام علماء الإسلام وألسنتهم فى الاعتراض ليس ما تقدم أسلوبها).

الجواب في المقام الأول:

تحقيق صحة نسبة هذه الألفاظ إلى الشيخ التجانى رضى الله عنه:

اعلم يا أستاذ طنطاوى أنّ الشيخ العلامة الطيب السفيانى صاحب الإفادة الأحمدية قال فى مقدمة كتابه ما يلى:

(ولقد تلقيت جُلّه مشافهة منه يعنى الشيخ التجانى- والباقى ممن أثق به راوياً عنه).

وإن كنت يا شيخ ممن لهم إلمام بعلم الرواية فانظر ما قاله العلماء فى ما يترتب على هذه القاعدة، فإنّ الثقة المعَّدل إذا روى فقال: حدثنى الثقة من غير تسمية له أو قال: حدثنى مَن لا أتهم، فهل يقبل هذا ويكتفى به عند المشتغلين بتصحيح الروايات أو إذا قال العدل مثلاً: كل مَن رويت عنه فهو ثقة وإن لم أسمَّه، أو قال: كل أشياخى ثقات، فهل يعمل على هذا التعديل وتصح به الرواية؟!، المسألة خلافية وقد ذهب من يحتج بالمرسل إلى قبول ذلك واعتباره تعديلاً مقبولاً ونقله ابن الصباغ فى العدة عن أبى حنيفة، وكذلك المالكية يقبلون المرسل..... واحتج هؤلاء بأنّ الراوى العدل لو كان يعلم فى الذى روى عنه جرحاً لذكره.

وقال غيرهم: أنه لا يقبل حتى يسمَّيه لأنه لو كان هذا المبهم ثقة عند الراوى فربما لو سمَّاه لكان ممن جرحه غيره بجرح قادح.... وإلى هذا ذهب الصيرفى وابن الصلاح والخطيب البغدادى والنووى والسيوطى وآخرون.... ثم إن هذا الردّ ليس جرحاً فى الثقة أو رداً لخبره بل زيادة تثبت واحتياط فى قبول الأخبار التى تنبنى عليها الأحكام الشرعية.

وقد حقق بعض العلماء أنّ المجتهد إذا أبهم التعديل فهو مجزئ فى حق من قلده، قال الحافظ زين الدين العراقى فى ألفيته:

ومبهم التعديل ليس يكتفى	**به الخطيب والفقيه الصيرفى**
وقيل يكفى نحو أن يُقالا	**حدثنى الثقة بل لو قالا**
جميع أشياخى ثقات لو لم	**أسمٍّ لايقبل من قد أبهم**
وبعض مَن حقق لم يرده	**من عالم فى حق من قلّده**

ومن ناحية أخرى، يصح أن يكون الثقة المروى عنه قد روىَ بالمعنى، وقد اختلف السلف وعلماء الحديث والفقه والأصول فى تسويغ الرواية بالمعنى لأهل العلم بمعانى الألفاظ، ومواقع الخطاب فشدَّد كثير منهم ومنعوا الرواية بالمعنى ولم يجيزوا لأحد إلا أن يأتى بالخبر الذى سمعه كما سمعه ويؤديه باللفظ الذى سمعه والجمهور على جواز الرواية بالمعنى على شروطها.

وقد ورد فى نفس صفحة (٨٠) من الإفادة الأحمدية أن سيِّدى العربى بن السائح قال:

[أن ذلك ليس لفظ الشيخ وإنما هو من كلام بعض أصحابه عبَّر عنها بفهمه- فهى إذن رواية بالمعنى].

ولست أفهم يا أستاذ طنطاوى لماذا لم تذكر هذا التعليق مع أنه ورد فى نفس الصحيفة التى تنقل منها منسوباً للشيخ العربى بن السائح الذى تقولون عنه أن كتابه (البغية) من الكتب المعتمدة عندنا، فهذا هو كلامه المعتمد عندنا. فلماذا لم تنقلوه لقرائكم؟! هل هذه هى الأمانة العلمية؟ وهل تسمحون بتعريفنا بما هو التلبيس والتدليس، فإنهما فيما نرى قد اجتمعا فى هذا العمل؟

يا أستاذ طنطاوى، يقول الله تعالى **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**.

وقد ذكر العلامة الحجة شيخ المحدثين السيِّد محمد الحافظ التجانى فى تعليقه على الإفادة ما نصه:

[يصح أن يكون الذى وثق به المؤلف لم يحسن ضبط كلام الشيخ وكثيراً ما يهم الثقة أو يكون قد روى عن غيره ممن لم يضبط كلام الشيخ أو وهم فيه. وقد أجبت فى الطبعة الأولى من الإفادة عن بعض المواضع المستشكلة فيها. ثم ذكر لى سيدى أحمد سكيرج: أنّ بعض ما ذكر فى الإفادة لا يصح عن الشيخ رضى الله عنه، ونقل ذلك عن

سيِّدى العربى بن السائح وقال أن سيدى العربى بن السائح حرّر فى كتابه البغية كثيراً من كلام الشيخ رضى الله عنه مما هو فى الإفادة وصَّرح لتلاميذه أن بعض ما نسب للشيخ رضى الله عنه فى الإفادة ليس من كلامه رضى الله عنه فما لم يذكر فى البغية فليس من كلام الشيخ رضى الله عنه].

الجواب فى المقام الثانى:

<u>وجه تأويل هذا الكلام على فرض ثبوت نسبته للشيخ رضى الله عنه:</u>

اعلم يا أستاذ أن حرمة عرض المسلم مما أجمع عليه أهل الإسلام، وقد ورد فى الشرع تحريم سوء الظن بالناس، ففى صحيح البخارى (**إياكم والظن فإنّ الظن أكذب الحديث**) وأن المسلم المؤمن إذا صدر منه قول أو فعل يمكن حمله على وجه صحيح فحملتَه على غير هذا الوجه فقد أسأت به الظن، وهو ما نهاك عنه الشرع.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال:

(رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك، ماله ودمه وأن يظن به إلا خيراً).

أخرجه ابن ماجة فى سننه،

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

(لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيراً وأنت تجد لها فى الخير محملاً).

فهب يا أستاذ طنطاوى. أن الشيخ قال إن صلاة الفاتح من كلام الله- وقد بيّنا لك سابقاً أن علماء الطريقة قالوا أن هذا ليس لفظه- ولكن هبه لفظه، فهل أحسنت الظن بالمؤمنين فحملت هذه الكلمة على وجوه الخير فلم تجد لها محملاً، فساء ظنك وأنكرت؟ ألم تجد لها تأويلاً مستساغاً، أم أنه المسارعة فى الإنكار؟ وهلا سألت أهل الطريقة ليبينّوا لك ما يخفى عليك علمه.

إنّ الشيخ التجانى رضى الله عنه يعتقد كما يعتقد سائر أهل الإسلام أنّ سماع كلام الله الذى هو صفة له مستحيل فى حق الأولياء ... ودعنى أنقل لك نص كلامه:

يقول الشيخ التجانى فى كتاب (جواهر المعانى) الذى تزعم أنك طالعته:

[أما السؤال عن المكالمة للعارفين الذى هو المعنى القائم بها فإنَّ ذلك مستحيل بصريح الآية لقوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ ما عدا سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام. سمعا المعنى القائم بذات الله تعالى واما المكالمة المعلومة للعارفين فإنه يخلق فيهم كلاماً فى الروح إذا صارت صفاء أو أخفى او سراً أو غير ذلك يخلق فى ذلك المعني كلاماً يعني فى الروح لا يشك أنه من الله تعالى. مسبة ذلك الكلام إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث، ونسبة المخلوق إلى الخالق لا سبة الكلام إلى المتكلم].

وقال الشيخ التجانى رضى الله عنه فى (جواهر المعانى) أيضاً:

[أما المكالمة التى يدَّعيها العارفون من قولهم: سمعت وقيل لى، إنما حدُها فى هذا المحل أن الكلام الوارد على الرجال فى هذا الميدان أن نسبته إلى الله تعالى نسبة الخلق إلى الخالق لا نسبة الكلام إلى المتكلم ومَن ظنّ من الرجال أنه يسمع كلام الذات كما سمعه موسى عليه السلام فقد ضلَّ وفارق الحق وخسر، قال تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ الآية.

فها هو الشيخ التجانى رضى الله عنه وقد برئت ذمته من اعتقاد أنه يسمع كلام الله الذى هو صفة ذاته المقدسة، فهل نجد عندكم من الشجاعة فى الحق أن تعتذروا إلى هذا الشيخ الإمام الذى أسأتم به الظن حين قلتم (أيقول هذا مسلم، وإن كانت من كلام الله فكيف وصلت إلى التجانى .. أوحيٌ بعد رسول الله أم افتراء على الله)؟

هل نجد عندكم من الشجاعة ما تعتذرون به للشيخ عن ظن السوء الذى ظننتم به فقلتم ما قلتم بعبارة لا يليق أن تصدر ممن ينسب نفسه للعلم وأهله؟

والشيخ التجانى رضى الله عنه يقول إن الكلام فى هذا المقام نسبته إلى الله نسبة المخلوق إلى الخالق والحادث إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم.... فهو إذن كلام حادث مخلوق.... وذكر الشيخ التجانى أن الله يخلقه فى الروح. فهل لك أن تجمع بين هذين الخبرين، فيتخرج لك كون صلاة الفاتح من كلام الله على أنها من نوع مخاطبة الحق للولى فى نومه. وراجع كتاب (الروح) للشيخ ابن القيّم لتقنع نفسك إن ما قاله الشيخ هو الحق وهو أمر مسلم

به شرعاً. ورؤية الله عز وجل فى النوم قد نص العلماء من محققي أهل السنة على جوازها عقلاً وشرعاً، وذكر القاضى عياض الاتفاق عليها ونقلها الحافظ ابن حجر فى شرحه على البخارى والعلامة الزرقانى فى شرح المواهب للحافظ القسطلانى والشيخ عليش وكثيرون.... وإنما يثبت المنع فى رؤيته تعالى فى اليقظة لقوله صلى الله عليه وسلم:

(واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) رواه مسلم.

ونقلت رؤية الحق سبحانه في النوم وخطابه عن الجمع الغفير من الصالحين وسلف الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل والإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان وكبار الأولياء من الصوفية والعلماء كما نقل ذلك الحافظ ابن حجر فى (فتح البارى). قال الإمام أبو اسحق الشاطبى فى كتاب (الاعتصام):

(عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله: قال رأيت ربى فى المنام فقلت كيف الطريق إليك فقال: اترك نفسك وتعال (قال الإمام الشاطبى) وشأن هذا الكلام من الشرع موجود فالعمل بمقتضاه صحيح)

وذكر الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى فى رسالة الصوفية والفقراء ما نصه:

(وقد روى أن عطاء السلمى رضى الله عنه رؤى بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: قال لى: يا عطاء أما استحيت منّى أن تخافنى كل هذا أما بلغك أنى غفور رحيم؟)

وقد ذكر جماعة ممن ألف فى مناقب الإمام أحمد بن حنبل، منهم الإمام ابن الجوزى أنه قال: رأيت رب العزة عز وجل فى المنام فقلت: يا رب ما أفضل ما يتقرب إليك به المتقربون؟ قال بتلاوة كلامى يا أحمد، قلت: بفهم أو بغير فهم: فقال بفهم وبغير فهم. وكذا نقلت رؤية الحق عز وجل فى المنام عن الإمام أبى حنيفة ذكر ذلك الحافظ ابن حجر الهيثمى فى كتابه (الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان).

فمن رأى الحق عز وجل فى نومه وكلمه فذلك الكلام يصح أن يُنسب إلى الحق تبارك وتعالى فيقال فيه كلام الله. وحكمه أن ينظر فيه فإن كان موافقاً للشريعة علمنا أن الرؤيا لم يقع فيها وهم للرائى. فالميزان هو الشريعة ومطابقته لها هى الحجة وما خالف ذلك فلا يعمل به وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال:

(لقد كان فيمن قبلكم محَدثون فإن يك فى أمتى أحدٌ فإنه عمر: وفى رواية أبى هريرة: رجال يكَّلمون من غير أن يكونوا أنبياء).

وقلت فى مقالك (العمود الثاني):

(ففى الجواهر صفحة ١٠٣ أن المَّرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل ستة آلاف من كل ذكر وتسبيح وتهليل ومن كل دعاء كبير وصغير (كذا) وقع فى هذا الكون.

والقرآن ذكر فإذا عدلت المرة الواحدة من صلاة الفاتح ستة آلاف ختمة كانت أفضل من خمسة آلاف ختمة وتسعمائة وتسع وتسعين ويزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام خبره بذلك)

والجواب:

سبق أن بيَّنا لك يا شيخ أن القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يتراءى لأحد من أمته فى المنام مصادمة صريحة للنصوص الشرعية الواردة وبيَّنا لك أن رؤيته فى اليقظة أمرٌ جائز وله مستندٌ من نص شرعى فى أعلى درجات الصحة رواه البخارى ومسلم فلا وجه لمصادمته بمجرد الافتراضات وإنَّ محاولات هلهلة معانى النصوص الشرعية لإرضاء الأفهام القاصرة عن درك المعانى مما تنبذه العقول السليمة وتأباه الطباع المستقيمة. على أنه لا محذور فى رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة لأن حكمها حكم رؤيا المنام، فإن ورد فيها ما هو موافق للشرع فهى رؤيا صحيحة صريحة، وإن ورد فيها غير ذلك فهى رؤيا صحيحة مؤولة.

وأما كونها صحيحة فى الحالتين فلأنه قد تواترت النصوص عنه صلى الله عليه وسلم أن رؤياه حق ولا يدخلها شيطان وقد نصَّ على تواترها أعلم الناس. بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعنى حفاظ الحديث، وراجع إن شئت (الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة) للعلامة الحافظ الإمام جلال الدين السيوطى وكذلك (نظم المتناثر فى الحديث المتواتر) للعلامة المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني.

ولا يعقل أن نترك ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن رؤياه صحيحة على كل حال لا يدخلها شيطان ونقول بخلافه، إرضاءً لقصور عقول ضعُفت أفهامُها عن درك غايات هذا المقام.

فالرؤيا الصالحة صحيحة إذن على كل حال وهي صريحة إذا لم يرد فيها ما يصادم العقل أو الشرع وهي مؤولة إذا ورد فيها ذلك.... فإن لم نجد لها وجهاً في التأويل فسوف نصدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في أنها صحيحة ونقول: إما أن يكون قد وقع الوهم للرائي أو أن يكون لها تأويلاً لم نعثر عليه.... فإن العلم الاحاطي بكل معلوم ليس صفة مخلوق وإنما هو صفة الخالق جلّ وعلا.

أما أن الرؤيا صحيحة ووقع الوهم للرائي فدليله أن الوهم يقع للرائي وهو متيقظ يتلقى فكيف به نائماً. وهذه كتب السنة مشحونة بالأحاديث التي وقع الوهم لرواتها فيها: وهماً في السند أو المتن وعلماء الحديث يعلمون في أول ما يتعلمون أن الحديث قد يصح سنده ولا يستلزم من هذا صحة الحديث فقد يكون شاذاً أو معللاً وهي كلمة إجماع عند المحدثين، فإن كان هذا يقع للرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يقظتهم مع توافر دواعي الضبط فكيف بمن يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم مناماً أو يقظة رهي حالة برزخية روحية. على أن الراوي مهما كثر وهمه واشتد فحيث أنه ثقة فلا يليق أن يُتَّهم بالكذب، وهذه مرويات حماد بن سلمة ومرويات نعيم بن حماد وفيها ما فيها ولا يستقيم وصفه بالكذب ودفعه بالوضع. ومن الناس من يعتذر عنهما بالاختلاط وغيرهم يعتذر بالدس والله أعلم بحقيقة الحال.

على أن المراد تحقيقه في هذا المقام هو أن الوهم كما يصح أن يقع للراوي كذلك يصح أن يقع للنائم في ما يتلقاه وإنما يصار إلى توهيم صاحب الرؤيا غير الصريحة إذا لم نجد لها وجهاً في التأويل وليس كل إنسان يعلم جميع وجوه التأويل. وقد أول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه رؤيا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً.

وعليه فإنّ الرؤيا غير الصريحة إذا لم نجد لها وجهاً في التأويل حملنا أمرها على وهم الرائي ولم نحمله على دخول الشيطان فيها وإلاّ كنا مصادمين للسنة الصحيحة المتواترة عنه صلى الله عليه وسلم.... وهذا هو الذي عليه المحققون من أهل العلم والتجانيون معهم في ذلك.

ودعني أنقل لك من كتاب "بغية المستفيد" الذي تقولون أنه من الكتب المعتمدة لدى التجانيين وتقولون أنكم قد اطلعتم عليه، يقول صاحب البغية:

[من المقرّر عند العلماء الأعلام أنه يعمل بجميع ما يتلقاه العارفون منه عليه الصلاة والسلام سواء في اليقظة أو في المنام ما لم يصادم شيئاً من النصوص القطعية أو يؤدي إلى انخرام قاعدة شرعية].

والشيخ لم يزد على أن قال أنه اجتمع بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنه قال له: كذا وكذا، فإن كان هذا الكلام موافقاً للشرع فلا وجه للإساءة إلى الشيخ وإن كان - في نظركم – غير ذلك فلا وجه لتكذيب الشيخ التجانيَ فيما أخبر به كما أنه لا وجه لإدعاء أن الرؤيا غير صحيحة فتكونون مصادمين للسنة الصحيحة المتواترة.

على أن الشيخ لم يقل إن صلاة الفاتح تعدل القرآن من حيث أنه كلام الله. ولا قال أنها أفضل منه ومَن نسب إليه هذا فهو كاذب مفترى. وأيضاً فإنّ الشيخ لم يقل أنها من كلام الله القديم أو أنها من أنواع وحي النبوة، أو أنها من القرآن أو أنها أنزلت عليه. فكل هذا نسبته إلى الشيخ باطلة. وقد نبّه على ذلك علماء الطريق منذ دهور وأزمان.

إن الشيخ التجاني رضي الله عنه لم يقل أن صلاة الفاتح تعدل القرآن كما زعمتم - يا أستاذ - والله سائلكم عن تصحيح هذه النسبة إليه، فاستعدوا لذلك جواباً.

ودعني أنقل من لفظ الشيخ التجاني رضي الله عنه ما يفيد تكذيب نسبة صدور ذلك القول منه. قال الشيخ رضي الله عنه في كتاب جواهر المعاني:

[أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمرٌ أوضح من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة].

فهل هذا هو الشيخ الذي تَدعون عليه أنه يفضّل صلاة الفاتح على القرآن؟!... اللهم أشهد.

وقال الشيخ التجاني رضي الله عنه في (جواهر المعاني) أيضاً:

(فإن قلت: ربما يطلع بعض القاصرين ممن لا علم به بسعة الفضل والكرم فيقول: إذا كان هذا ما ذكرتم فينبغي الاشتغال به أولى من كل ذكر حتى القرآن. قلنا لهم:

[بل تلاوة القرآن أولى لأنه مطلوب شرعاً لأجل الفضل الذى ورد فيه ولكونه أساس الشريعة وبساط المعاملة الإلهية ولما ورد فى تركه من الوعيد الشديد فلهذا لا يحل لقارئه ترك تلاوته].

فأين يا أستاذ طنطاوى أنه جعل صلاة الفاتح تعدل القرآن .. اللهم أشهد.

وقال الشيخ التجانى رضى الله عنه فى كتاب (الإفادة الأحمدية) ما نصه:

[أقل ما يجزئ حافظ القرآن فى كل يوم حزبان].

وفى (الإفادة الأحمدية) أيضاً أن رجلاً شاوره فى أمر ولده فقال له الشيخ رضى الله عنه:

[علّمه ما تيسر من القرآن وعلّمه الكتابة وعلّمه صنعة يعيش بها].

فهل هذا هو الشيخ الذي يدعو الناس إلى ترك القرآن؟!! اللهم أشهد...

وقد نقلنا لك كل ما سبق من (جواهر المعانى) و(الإفادة الأحمدية) وهما من الكتب التى زعمت إنك قد اطلعت عليها.

على أن المقارنة التى ذكرها الشيخ التجانى رضى الله عنه ليست بين القرآن والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، فإن الشيخ قائلٌ بأفضلية القرآن كما نقلناه لكم. وإنما هى بين صلاة المصلي وتلاوة التالي- أى بين عملين من أعمال العبد فإن صلاته على الرسول صلى الله عليه وسلم من عمله وتلاوة القرآن من عمله- والثواب والعقاب فى الفعل والترك، والإحسان وضده إنما يقع على الأعمال لا على صيغ الصلوات ولا على القرآن الذى هو كلام الله تعالى، وهى مسألة قد فرغ العلماء قديماً من تحقيقها وأصبحت فى حكم العلوم الضرورية عند أهل الإسلام.

فإذا تبّين هذا فالمقارنة إذن بين عملين من أعمال المكلّفين، وحيث كان الأمر هذه صورته فإنّ المقارنة بين الأعمال من جهة أصل الثواب وكثرته وقلته أو مضاعفته للبعض دون البعض، إنما هى باعتبار أحوال العاملين من الإحسان فيها وكمال القيام بما يجب لها من شروط صحة وكمال ونحو ذلك لا باعتبار حقائقها فى حدّ ذاتها.

فالمقارنة بين تلاوة القرآن وغيرها من العبادات إنما هو باعتبار حالة التالى لا باعتبار حقيقة القرآن من حيث هو كلام الله لأنّ الجزاء إنما هو على الأعمال لا على الحقائق الثابتة فى أنفسها.

وهذا الذى قرّرناه لكم، هو ما تضافرت عليه النصوص الشرعية القويمة ودلّت عليه العقول السليمة وهو إجماع أهل الإسلام قاطبة شَرقاً وغرباً ﴿ **فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون**﴾.

ودعني أنقل لك فى هذا المحل ما قاله العلامة الإمام القرطبى صاحب التفسير فى كتابه (**التذكار فى أفضل الأذكار**) قال رحمه الله تعالى:

[لا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السنة أنَّ القرآن اسم لكلام الله عز وجل الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له غابر الدهر، وأنه محفوظ فى الصدور، مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف، معلومة على الاضطرار سوره وآياته، مبرآت من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته فلا يحتاج فى تعريفه بحدٍ، ولا فى حصره بعد، وأنه له نصف وربع. فنصفه من آخر سورة (الكهف) إلى سورة ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ورُبعَه من أول سورة (ص) إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ وله مع ذلك خمس وسبع وتسع وعشر. وفى الكتابة الموجودة فى المصحف وفى القراءة الموجودة بالألسنة ستة ألف آية ومائتان آية وآية. وفيها من الحروف ثلاثمائة ألف حرف وأحد عشر ألفاً ومائتان وخمسون حرفاً وحرف. وكلام الله القديم الذى هو صفته، لا نصف له، ولا ربع ولا خمس ولا سبع ولا هو ألوف ولا مئون وآحاد وإنما هو صفة واحدة لا ينقسم ولا يتجزأ، وهذا مما يدل على أن التلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، فإنَّ القراءة عند أهل الحق أصوات القراء ونغماتهم، وهى اكتساباتهم التى يؤمرون بها فى حال إيجاباً فى بعض العبادات، وندباً فى كثير من الأوقات ويزجرون عنها إذا أجنبوا، ويثابون عليها، ويعاقبون على تركها وهذا مما اجتمع عليه المسلمون، ونطقت به الآثار، ودلّ عليه المستفيض من الأخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من اكتساب العباد، ويستحيل ارتباط التكييف والترغيب والتضعيف بصفة أزلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات، والقراءة هى التى تستطاب من قارئ وتستبشع من آخر، وهى الملحونة والقويمة والمستقيمة، وتتنزه عن كل ما ذكرنا الصفة القديمة، ولا يخطر

لمن لازم الإنصاف أن الأصوات التى يبح بها حلقه، وتنتفخ على مستقر العادة بها أوداجه، وتقع على الإيثار والإختبار محرَّفاً وقويماً وجهورياً رخيماً، ليس كلاماً لله تعالى، إذ هى مخلوقة مبتدعة، والمفهوم منها كلام الله القديم الأزلى الذى تدل عليه العبارات وليس منها، وهو غير حالّ فى القارئ ولا موجود فيه. وسبيل القراءة والمقروء، والتلاوة والمتلوّ، كسبيل الذكر والمذكور، فالذكر يرجع إلى قول الذاكر، والرب المذكور المسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد].

وقال الإمام القرطبى أيضاً: باب فى أنّ القرآن أفضل الذكر إذا عمل به:

[قال سفيان الثورى رضى الله عنه: سمعنا أن قراءة القرآن أفضل الذكر إذا عمل به.

قال الترمذى الحكيم محمد بن على وأجاد: ما غاص قائل هذا القول، لأن الذكر هو شئ يبتدعه العبد من تلقاء نفسه من علمه بربه، والقرآن هو شئ قد تكلم به الرب تبارك وتعالى فإذا تلاه العبد، فإنما يتكلم بشيء قد كان عند الرب سبحانه وتعالى، ولم يخلق منذ نزل إلى العباد، ولا يخلق ولا يدنس، فهو على طراوته وطيبه وطهارته، وله كسوة، والذكر الذى يذكره العبد مبتدعاً من عند نفسه لا كسوة له. وأيضاً هو الذى يؤلفه العبد، وليس تأليف الله كتأليف العبد.

وإنما كان القرآن أفضل الذكر والله أعلم لأنه مشتمل على جميع الذكر من تهليل، وتكبير وتحميد، وتسبيح، وتمجيد، وعلى الخوف والرجاء، والدعاء والسؤال والأمر بالتفكر فى آياته، والاعتبار بمصنوعاته، إلى غير ذلك مما شرح فيه من واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، ونص فيه من غيب الأخبار وكرر فيه من ضرب الأمثال والقصص والمواعظ للإفهام حسب ما قال وقوله الحق: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ فمن وقف على ذلك وتدبره، فقد حصل أفضل العبادات، وأسنى الأعمال والقربات، ولم يبق عليه ما يطالب به بعد ذلك من شيء.

وقد روى الترمذى فى (جامعه) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، قال: وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**) قال هذا حديث حسن غريب، وهذا نص فى الباب لا يحتمل التأويل

وهو يفسّر قوله تعالى فى الحديث الآخر (**من شغله ذكرى عن مسالتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين**) فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من قرأ القرآن واشتغل به عن الدعاء أعطاه الله تعالى أفضل سؤال سأله أحد من خلقه. وروى (**من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين**) أخرجه ابن شاهين وأبو حفص عمر بن أحمد.

وذكر الوائلى من حديث بقية بن الوليد: عن أبى بكر بن أبى مريم عن عطية بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما تكلم العباد بكلام أحب إلى الله تعالى من كلامه وما تقرب إلى الله عز وجل أحب إليه من كلامه**).

قال الوائلى: هذا حديث فيه إرسال، وعطية من تابع التابعين، ولكن الرواة مشاهير، وبقية إذا روى عن مشاهير كان حجة.

وعن فروة بن نوفل قال: سمعت خباب بن الأرت وأقبلت معه من المسجد إلى منزله فقال لى: (**أن استطعت أن تقرب إلى الله عز وجل فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه**). رواه الترمذى مرفوعا بمعناه من حديث أبى أمامة، وروى عن أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه قال: رأيت رب العزة فى المنام، فقلت: يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال بكلامى يا أحمد، فقلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؟ فقال بفهم وبغير فهم. - نقل عنه هذه الرؤيا كبار العلماء. وقد روى الثقفى أبو عبد الله القاسم بن الفضل من حديث ابن عمر قال: (**سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل عند الله تعالى قال قراءة القرآن فى الصلاة، ثم قراءة القرآن فى غير الصلاة..**) الحديث، وروى ابن وهب عن قرة بن عبد الرحمن، والنهد بن منصور، أن عبد الله ابن شراحيل حدثهما، أنه سمع عقبة بن عامر يقول: أيما راكب قرأ كان ردفه ملك، وأيما راكب تغنى كان ردفه شيطان. وروى الطبرى فى كتاب "آداب النفوس" قال: حدثنا ابن المثنى قال: حدثنا عبد الصمد قال: ثنا شعبة، قال ثنا سلمة ابن يساق، عن سمرة بن جندب، أن نبىَّ الله صلى الله عليه وسلم قال (**خير الكلام أو خير العمل أربع إلاّ القرآن، وهنّ من القرآن: "لا اله إلاّ الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر"**) وقال منصور عن هلال بن يساق عن الربيع بن عميلة عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله، غير أنه قال: (**لايضرك بأيهن بدأت**).

قال الطبرى: وحدثني أبو عبد الرحيم البرقي قال: حدثني عمر - يعني ابن أبى سلمة - قال: سألت الأوزاعى عن قراءة القرآن، أعجبُ إليك أم الذكر؟ فقال: سل أبا محمد - يعني سعيداً- فسألته؟ فقال: بل القرآن، فقال الأوزاعى: أنه ليس شيء يعدل القرآن، ولكن إنما كان هدى من سلف يذكرون الله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

قول سعيد بن المسيب حسن جداً، وقد أقر الأوزاعى بذلك وإن كان ذكر أن هدى السلف الذكر قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، فلعل "يذكرون" بمعنى يقرؤون، بدليل ما ذكرنا، وقد سمى الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز ذكراً فقال **﴿وهذا ذكرٌ مبارك أنزلناه﴾** وقال جلّ وعزّ: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس ما نزِّل إليهم﴾** وذكر الطبرى قال: حدثنى العباس بن الوليد العذرى قال: أخبرنى أبى قال: ثنا الأوزاعى، قال، حدثنى حسن بن الحسن قال حدثنى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: أتينا أم الدرداء نتحدث إليها، قال: ثم قلت: يا أم الدرداء! لعلنا أمللناك؟ قالت: أمللتمونى والله، لقد التمست العبادة فى كل شيء، فما وجدت شيئاً أشفى لنفسي من مجلس ذكر. قال: ثم اختبأت، ثم قالت لرجل اقرأ ﴿ ولقد وصَّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ فدّل هذا الخبر على أن الذكر هو القرآن كما ذكرنا، وقد رواه الأوزاعى.

قال الطبرى: وحدثنا موسى بن عبد الرحمن الكندى قال: حدثنا محمد بن بشر، عن مسعر، عن هارون بن أبى وكيع عن أبيه عن ابن عباس أنه سئل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: ذكر الله أكبر، ما جلس قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يدرسون كتاب الله ويتعاطونه بينهم إلاّ كانوا أضياف الله تعالى وأظلّت عليهم الملائكة أجنحتها ما داموا فيه حتى يخوضوا فى حديث غيره.

فهذا ابن عباس قد فسّر الذكر بقراءة القرآن كما بيّنا، وقد رواه مسلم فى صحيحه بمعناه مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن سرَّ مسلماً سرَّه الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله**

ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

قال الطبري وحدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال حدثنا المعتمر عن أبيه قال: حدثنا أبو تميمة أنه سمع كعباً يقول: (**ثلاث من عمل بواحدة منهن دخل الجنة، رجل شهد بأساً من بأس المسلمين فصبر حتى قتل أو فتح الله على المسلمين، ورجل قعد في حلقة فقرأ عليهم القرآن فحمدوا ربهم عز وجل، ثم دعوا ربهم عز وجل على أثر ذلك فيقول الله للملائكة، على ما اجتمع هؤلاء وهو أعلم؟ ولكن يريد أن يكونوا شهداء، فيقولون: أى رب أنت أعلم، فيقول: أنى أعلم ولكن أنبئوني بعلمكم؟ فيقولون: يسألونك أن تدخلهم الجنة وتزحزحهم عن النار. فيقول أشهدكم أنى قد أوجبت لهم الجنة وزحزحتهم عن النار. ورجل قام من دفئه ومن فراشه ولعله أن يكون قد قام من عند امرأته في ليلة قرَّة فإن كان جنباً أغتسل، وإن لم يكن جُنباً توضأ وأحسن وضوءه فقام فقرأ ودعا ربه عزَّ وجل، فيقول الله للملائكة: ما أقام عبدى من دفئه وفراشه؟ فيقولون: يا رب خوفته عذابك ورغبته في رحمتك، وهو يستجير من عذابك، ويرجو رحمتك فيقول: أشهدكم أنى قد أجرته مما يخاف، وأوجبت له ما يرجو**).

ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع، وقد ثبت معناه فى غير ما حديث مرفوعاً والحمد لله. وقال سهل بن عبد الله التسترى فى قوله تعالى: ﴿**ولكن الله يَمُن على من يشاء من عباده**﴾ قال: بتلاوة القرآن.

وما أحسن ما قال، فإن القرآن حوى جميع العلوم كما ذكرنا فمن قرأه قراءة تدبر وتفهم وعمل بمقتضاه فقد حصل الغاية القصوى التي ليس لأحد وراءها مرمى، وقال تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**﴾ قال أهل التأويل: يتبعونه حق إتباعه، باتباع الأمر والنهى، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما تضمنه، قال عكرمة وغيره. قال عكرمة: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿**والقمر إذا تلاها**﴾ أي تبعها، فهو معنى قول ابن عباس، وابن مسعود رضى الله عنهما، وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه: من يتبع القرآن يهبط به إلى رياض الجنة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها

وقد روى هذا المعنى عن النبى صلى الله عليه وسلم: كان إذا مرَّ بآية رحمة سأل، وإذا مرَّ بآية عذاب تعوَّذ، من حديث حذيفة وغيره. وقال الحسن: هم الذين يعملون بحكمه، ويؤمنون بما تشابه منه ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه، وخرج أبو داوود عن معاذ الجهنى، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجاً يوم القيامة فما ظنكم بالذى عمل هذا**).

وخرج الترمذى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من قرأ القرآن فاستظهره فأحلّ حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته، كلهم قد استوجب النار**).

وهذا الحديث وإن كان فى إسناده مقال، فإنّ العلماء مجمعون على القول به، فإن المطلوب العمل بما يقرأ ويتلى، وقد روى النسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إن من شر الناس رجلاً فاسقاً يقرأ القرآن لا يرعوى إلى شىء منه**) فبين صلى الله عليه وسلم أن المقصود العمل كما بينا وقال مالك رحمه الله تعالى: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه وقال عبد الله ابن مسعود: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف، ولكن إقامة حدوده.

وروى شريك عن أبي إسحاق، عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ثلاث غرباء: قرآن فى قلب رجل فاجر، ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه وصالح مع الظالمين**).

وروى شقيق بن سلمة، عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما بال أقوام يشرِّفون المترفين، ويستخفون بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم تركوه. فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير السعى من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزق المقسوم، ولا يسعون فيما لا يدرك إلاَّ بالسعى فى الخير الموفور، والسعى المشكور، والتجارة التى لا تبور**) خرجه أبو نعيم الحافظ.

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (**من أطاع الله فقد ذكر الله وإن أقل صلاته وصنيعه للخير، ومن عصى الله فقد نسى ذكر الله وإن أكثر صلاته وصومه وصنيعه للخير**)

ذكره أبو عبد الله محمد بنُ خويز منداد فى "أحكام القرآن" له. وذكره أيضاً أبو بكر محمد بن عبد الله العامرى الواعظ فى "شرح الشهاب" له، ولفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (**من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكتاً، ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قارئاً مسبحاً**).

وهذا والله أعلم لأنه كالمستهزئ والمتهاون. وممن اتخذ آيات الله هزواً، وقال العلماء تأويل قوله تعالى ﴿**ولا تتخذوا آيات الله هزواً**﴾ لا تتركوا أوامر الله فتكونوا مقصرين لاعبين قالوا: ويدخل فى هذه الآية الاستغفار من الذنب قولاً مع الإصرار فعلاً، وكذا كل ما كان فى هذا المعنى، والله أعلم). انتهى كلام القرطبى وقد نقلناه على طوله لنفاسته.

وقال الإمام القرطبى أيضاً (باب فى أن القرآن حجة لك أو عليك): روى مسلم عن أبى مالك الشعرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**).

(قال القرطبي رحمه الله): القرآن حجة لمن عمل به واتبع ما فيه وحجة على من لم يعمل به، ولم يتبع ما فيه فمن أوتى علم القرآن فلم ينتفع به، وزجرته نواهيه فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحاً، ومن الجرائم فضوحاً، كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه، وفى الخبر عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من تعلّم القرآن وعلّمه ولم يأخذ بما فيه وحرّفه، كان شفيعاً ودليلاً إلى جهنم، ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان شفيعاً ودليلاً إلى الجنة**).

وخرج ابن شاهين من حديث محمد بن إسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**يأتى القرآن إلى الذى حمله فأطاعه فى صورة حسنة فيأخذ بيده حتى يأتى ربه عز وجل، فيصير خصيماً من دونه، فيقول أى رب: حفظته إياى، فخير حامل حفظ حدودى، وعمل بفرائضى، وعمل بطاعتى، واجتنب معصيتى، فلا يزال يقذف دونه بالحجج حتى يقال له، فشأنك به، قال: فيأخذه بيده لا يدعه حتى يسقيه بكأس الخلد، ويتوجه تاج الملك، قال: ويأتي صاحبه الذى له خصماً، فيقول: يا**

رب حملتـه إيـاى، فشـرْ حامـل، ضـيع حـدودى وتـرك فرائضـى، واجتنـب طـاعتى، وعمـل بمعصيتى، فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له: فشأنك بـه، فيأخذ بـه، فـلا يدعـه حتـى يكبه على منخره فى نار جهنم). انتهى ما نقلناه لك من كلام القرطبي. ومنـه تعلـم أن الـذى قرّره الشيخ التجانى رضـى الله عنـه لا يخرج عمـا قرره هؤلاء الأئمـة الأعـلام، فـإن الشيخ التجانى مصرّح بأفضلية القرآن على ما سواه وإنمـا كلامـه رضـى الله عنـه فـى أحوال التـالين للقرآن لا فى القرآن. فإنه رضى الله عنه قسم قراء القرآن إلى أربع مراتب:

(١) مرتبة العارف بالله.

(٢) مرتبة مَن عرف معانى القرآن مع وفائه بالحدود واستقامته على الجادة.

(٣) مرتبة مَن لم يعرف معانى القرآن كالأعاجم مثلاً مع وفائـه بالحدود واستقامته على الجادة.

(٤) مرتبة المضيّع للحدود والمتجرئ على المعصية الحائد عن الجـادة. علم معانى القرآن أو لم يعلمها.

وقال الشيخ التجانى رضـى الله عنـه عن المراتب (١) و (٢) و(٣) أن أصـحابها، تـلاوة القرآن فـى حقهـم أفضل لهم وأكثر أجراً من الصـلاة علـى النبى صـلى الله عليـه وسلم، وأمـا صاحب المرتبة (٤) فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(أن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شىء منه)

أخرجـه الإمـام أحمـد فـى المسـند والحـاكم وصـححه وأقـره الحـافظ الـذهبي علـى تصحيحه.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنـه: **(رب تـال للقرآن والقرآن يلعنـه)** فالـذى تقتضـيه متابعـة السنة الصـحيحة أن يقـال أن صـاحب المرتبـة (٤) الصـلاة علـى النبـى صـلى الله عليـه وسلم بأى صيغة أفضل له من تلاوة القرآن.

وهذا الذى قاله الشيخ التجانى رضى الله عنه هو ما عليه أئمة الدين وعلمـاء الإسـلام، ودعنى أنقل لك يا أستاذ طنطاوى ما قاله الشيخ العلامـة ابن تيميـة رحمـه الله تعـالى، قـال ابن تيمية:

[قد يكون فعل المرجوح أرجح للمصلحة الراجحة كما يكون ترك الراجح أرجح أحياناً للمصلحة. وهذا يقع فى عامة الأعمال. فإنّ العمل الذى هو فى جنسه أفضل قد يكون فى مواطن غيرُه أرجح منه كما أن جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر، وجنس الذكر أفضل من جنس الدعاء، ثم الصلاة بعد الفجر والعصر منهيٌّ عنها. والقراءة والدعاء والذكر أفضل منها فى تلك الأوقات، وكذلك القراءة فى الركوع والسجود منهيٌّ عنها، والذكر هناك أفضل، والدعاء فى أخر الصلاة بعد التشهد، أفضل من الذكر وقد يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال الشخص المعيَّن لكونه عاجزاً عن الأفضل أو لكون رغبته واهتمامه وانتفاعه بالمفضول أكثر، فيكون فى حقه أفضل، لما يقترن به من مزيد علمه وحُبِّه وإرادته وانتفاعه كما أن المريض ينتفع بالدواء الذى يشتهيه ما لا ينتفع بما لا يشتهيه، وإن كان جنس ذلك أفضل.

ومن هذا الباب صار الذكر لبعض الناس فى بعض الأوقات خيراً من القراءة، والقراءة لبعضهم فى بعض الأوقات خيراً من الصلاة، وأمثال ذلك لكمال انتفاعه به لا لأنه فى جنسه أفضل.] انتهى كلام ابن تيمية.

فهل كلام ابن تيمية هذا وكلام الإمام القرطبي السابق يحومان إلاَّ على ما قاله الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه ..... ألا رحم الله من ينصف.

ولننقل لك ههنا كلام الشيخ التجانى رضى الله عنه بتمامه لتنظر يا أستاذ كيف قسم الشيخ القراء إلى أربع مراتب ثم كيف كانت فتياه.

قال رضى الله عنه فى جواهر المعانى:

[الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وبين تلاوة القرآن، أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس كما هو معلوم فى استقراءات الشرع وأصوله، شهدت به الآثار الصحيحة، وتفضيله من حيثيتين، **الحيثية الأولى**، كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال، فهو فى هذه المرتبة لا يوازيه كلام. و**الحيثية الثانية** ما دلَّ عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدي ومكارم الأخلاق والأحكام الإلهية والأوصاف العلية التى لا يتصف بها إلا الربانيون، فهو فى هذه المرتبة أيضاً لا يوازيه كلام

فى الدلالة على هذه الأمور ثم أن هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيها إلا عارف بالله، **قد** انكشفت له بحار الحقائق فهو أبداً يسبح فى لججها، فصاحب هذه المرتبة هو الذى يكون القرآن فى حقه أفضل من جميع الأذكار والكلام لحوزه الفضيلتين لكونه سمعه من الذات المقدسة سماعاً صريحاً لا فى كل وقت، وإنما ذلك فى استغراقه وفنائه فى الله تعالى.

والمرتبة الثانية فى القرآن دون هذه وهى من عرف معاني القرآن ظاهراً أو ألقى سمعه عند تلاوته كأنه يسمعه من الله، يُقصنه عليه ويتلوه عليه مع وفائه بالحدود. فهذا أيضاً لاحق فى الفضيلة بالمرتبة الأولى إلاّ أنه دونها.

والمرتبة الثالثة فى تلاوة القرآن، رجل لا يعلم شيئاً من معانيه. ليس له إلا سرد حروفه ولا يعلم ماذا تدل عليه من العلوم والمعارف، فهذا إن كان مهتدياً كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معانى العربية إلا أنه يعتقد أنه كلام الله ويلقى سمعه عند تلاوته معتقداً أن الله يتلو عليه تلاوة لا يعلم معناها، فهذا لاحق فى الفضل بالمرتبتين إلا أنه مُنْحطٌ عنهما بكثير كثير بشرط أن يكون مهتدياً موفياً للحدود والواجبات، غير مُخل بشىء منها.

والمرتبة الرابعة، رجل يتلو القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم إلاّ أنه متجرئ على معصية الله غير متوقف عن شىء منها، فهذا لا يكون القرآن فى حقه أفضل. بل كلما ازداد تلاوة، ازداد ذنباً وتعاظم عليه الهلاك، يشهد له قوله سبحانه وتعالى ﴿**ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه**﴾، إلى قوله ﴿**فلن يهتدوا إذاً أبداً.**﴾ وقوله ﴿**ويل لكل أفاك أثيم**﴾ إلى قوله ﴿**ولهم عذاب عظيمٌ**﴾ وقوله تعالى ﴿**قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل**﴾ الآية، وكل من يحفظ القرآن ولم يقم بحدوده فقد اتخذه هزواً: قال الله تعالى ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن**﴾ إلى قوله ﴿**ولا تتخذوا آيات الله هزواً**﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم (**ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين، ويقولون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض**)، الحديث أراد صلى الله عليه وسلم أنه يصدق عليهم بالوعيد الذى فى الآية قال تعالى ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**﴾، إلى قوله ﴿**أشد العذاب**﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم (**إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه**) وقوله سبحانه وتعالى ﴿**ومن أعرض عن ذكرى**﴾ إلى قوله ﴿**وكذلك اليوم تنسى**﴾. فمن ترك العمل بالقرآن فقد

نسيه، والوعيد ثابت عليه، فمثل هذا لا يكون القرآن فى حقه أفضل من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، فأصحاب المراتب الثلاثة الأول، القرآن فى حقهم أفضل من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

وصاحب المرتبة الرابعة، الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه أفضل من القرآن، وبيان ذلك أنه يزداد من الله تعالى بتلاوة القرآن طرداً ولعناً وبُعداً، إلا أن يكون صاحب مرتبة إلهية فى الغيب مُدخرة له فى المعرفة بالله العيانية، فإنه إن كان بهذه المثابة وحاله فى المرتبة الرابعة، كما ذكرناه، فتمحى جميع ذنوبه فى الغيب وتكتب جميع تلاوته حسناتٍ لأجل المرتبة التى حصلت له من الله بطريق المحبوبية، فإن خلا عن هذه المرتبة، فهو عند الله بين أمرين، إما أن يعامله بالعفو فى الآخرة وعدم المؤاخذة بالعذاب على ذنوبه بسبب من الأسباب المعلومة فى الغفران وهى كثيرة. وإما أن يناقشه ربه الحساب فى الآخرة ثم يقول له لنؤاخذنك بها ذرةً ذرة، فصاحب هذه المرتبة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، أفضل له من تلاوة القرآن لكونه أن الله يصلى عليه بكل صلاة عشراً عشراً وجميع العالم فى كورة العالم عشراً عشراً لكل صلاة فيفوز بذلك بالسعادة الأبدية فإن هذا الوعد من الله محقق الوقوع. وهذا واقع لكل مطيع وعاص، فكل مَن صلى عليه ربه وصلت عليه الملائكة فهو من أهل السعادة. فصاحب هذا الحال يقع له الهلاك والشقاء بتلاوة القرآن، وتقع له السعادة والغفران بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإن قلت) الثواب المرتب على تلاوة القرآن إنما هو للقرآن فقط دون التالى وذلك حاصل فى تلاوته حتى من الفاسق (قلنا) الجواب فى هذا الأمر محتمل أنه يكتب له من تلاوة القرآن، لكن يظهر إبطاله من جهة أخرى، وهو عدم عمله بالقرآن. فإنَّ تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثل الذى ضربه الله تعالى لأهل التوراة فقال **﴿مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ ومعلوم أن الحمار لا نفع له فى حمل الأسفار على ظهره** ، وقوله **﴿ثم لم يحملوها﴾** أى لم يعملوا بما فيها وقوله سبحانه وتعالى **﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به﴾** وحق تلاوته هو العمل بما فيه، ومن أعرض عنه بعدم العمل فما تلاه حق تلاوته].

وقال رضى الله عنه أيضاً:

اعلم أن فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تكفل الله بمن **صلى على حبيبه صلى** الله عليه وسلم أن يصلى عليه عشر مرات بكل صلاة من تلك الصلوات التى مَنَّ الله عز وجل على العبد لها **سرَّان. الأول** أنَّ المصلى عليه صلى الله عليه وسلم يجب على نبينا صلى الله عليه وسلم مكافأته على مَن صلى عليه على قاعدة حكم الكرم عنده أن الإحسان إلى الكريم لا يضيع الإحسان عند الكريم باطلاً. فهو صلى الله عليه و سلم بما اتصف من الكرم وجب عليه مكافأة من صلى عليه من هذه الحيثية فلما توجب عليه صلى الله عليه وسلم هذا، ناب الحق سبحانه وتعالى عنه فى مكافأة من صلى عليه صلى الله عليه وسلم على إحسانه، أن يصلى عليه سبحانه وتعالى بكل واحدة عشراً.

والسر الثاني أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله صلى الله عليه وسلم، فمن رآه سبحانه وتعالى توجّه إليه بالصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم اعتنى به وأحبه لأجل تحببه لحبيبه بالصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم، وكانت له تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالى، إذا ثابر على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالى فى بحر عفوه وفضله وواجهه سبحانه وتعالى فى بلوغ أمله فى الدار الآخرة بتبليغه له فى أعلى مراتب رضاه عنه، سبحانه وتعالى، وكان حكمه فى الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات، يقول سبحانه وتعالى للملائكة إن له عناية بحبيبنا صلى الله عليه وسلم، فلا تكون سيئاته كسيئات غيره ولا تقع المؤاخذة عليه فى سيئاته كما تقع على غيره من أصحاب السيئات، فإذا عرفت الحيثية، عرفت أنَّ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لمثل أهل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن **<u>من هذه الحيثية التى سمعتها فقط لا أنها هى أرفع درجة من القرآن فإن القرآن هو أفضل الدرجات فى التقرب إلى الله تعالى</u>**، لكن لمن صفت له أعماله وأحواله مع الله تعالى فيكون تاليه من السابقين وأعظم الفائزين برضا الله تعالى. ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا فإنه يقع بهم المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول، فإن لله سبحانه وتعالى غيرة على كتابه لكونه حضرة القرب والتدانى فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته لكونه لم يعط الحضرة حقها، فإذا عرفت هذا عرفت

النسبة بينه وبين الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، والسلام. انتهى ما أملاه علينا رضى الله عنه من حفظه ولفظه].

فقد وضح إذاً أن الشيخ التجانى رضى الله عنه يقول ما قاله علماء الإسلام وشيوخ الفتوى وأهل الورع والتقوى الذين عرفوا معنى قوله صلى الله عليه وسلم:

(الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم). وقد قام الشيخ التجانى رضى الله عنه بالنصيحة كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث. فماذا تعيبون عليه يا أستاذ طنطاوى؟!!!

التحدث بنعمة الله

نقلت عن الشيخ التجانى رضى الله عنه قوله (قدماي هاتان على رقبة كل ولىٌ لله من يوم أنشأ العالم إلى يوم النفخ فى الصور).

ثم قلت: (وأولياء الله هم بنص القرآن "الذين آمنوا وكانوا يتقون" وفى أوائل صفوف الأولياء الرسل والأنبياء، فما حكم من يقول هذه المقالة؟).

ثم ذهبت تكيل السباب والشتم للشيخ التجانى رضى الله عنه وليس المؤمن بالفاحش ولا المتفحش ولا هو بالطعَّان ولا اللعان وأدب الإسلام خلاف عباراتك وقد ورد فى الحديث (**سباب المسلم فسوق**) وقد تحاشينا ذكر تلك الشتائم ولكنا نبتهل إلى الله تعالى أن يؤاخذك بها واحدة واحدة وينتصف لنا منك، ومن تاب تاب الله عليه ما لم يغرغر.

وهل لنا أن نسألك يا أستاذ الطنطاوى وأنت الذى تدعى الأمانة العلمية وتنسب نفسك إلى الإنصاف فى الولاء والبراء والعدل فى الرضا والغضب- هل من الأمانة العلمية أو الإنصاف أو العدل أن تحاول إقناع الناس بأن الشيخ التجانى يفضل نفسه على الأنبياء والرسل محتجاً بأنه ذكر الأولياء، وهذا -فى نظركم- يشمل الرسل والأنبياء؟؟! هل هذا إنصاف ... أو عدل ... أو أمانة؟ اللهم اشهد... إنَّ القوم يفترون على أوليائك، وهل يصح أن ينسب إلى إنسان كلام لم يقله؟ وهل هذا اللازم الذى ذكرته من اللازم البيِّن؟

على أن هذه الكلمة نقلت عن غير الشيخ التجانى ومن أولئك، الشيخ عبدالقادر الجيلانى، شيخ الحنابلة فى عصره، وإمامته فى العلم والعمل مما لا يمارى فيه مَنْ له إلمام بالعلمْ.. وراجع (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبى، و(البداية والنهاية)- للحافظ ابن كثير وغيرهما من كتب التاريخ والتراجم لتعرف مكانة الشيخ عبد القادر الجيلانى وجلالة قدره فى العلم والعمل. وقد نقل غير واحد من أهل العلم أن الشيخ عبد القادر قال:

(قدمى هذه على رقبة كل ولىٍّ لله تعالى).

وقد تكّلم عليها الحافظ ابن حجر الهيثمى فى كتابه (الفتاوى الحديثية)، وذكر أنها وردت بأسانيد متعددة عن كثيرين، الأخبار بذلك.

فهّلا تعاملون الشيخ التجانى بمثل ما تعاملون به الشيخ عبد القادر، أن تنظروا فى كلامه بعين الإنصاف لا بعين التعدى والاعتساف؟ وهل فهم العلماء من كلام الشيخ عبد

القادر مثل ما فهمته يا أستاذ طنطاوى فادَّعوا أن هذا يقتضى دخول الأنبياء والرسل وتفضيله عليهم؟! ولماذا تحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله؟!!

على أن القدم اصطلاح معروف عند الصوفية والمراد بالقدمين نهج سير الشيخ فى الظاهر والباطن وأنه موافق للشريعة لا يخرج عنها، موزون بالكتاب والسنة فهو مسلَّم عند أولياء الله جميعاً، وهو كما تقول هذا الأمر مسلَّم على العين والرأس أو على رقبتى يعنى إنى ضامن كونه حقاً.

وكيف يجوز لكم يا أستاذ أن تفهموا من كلام الشيخ المتقدم أنه يفضل نفسه على الأنبياء والرسل عليهم السلام مع أنَّ الشيخ التجانى رضى الله عنه، هو القائل كما فى جواهر المعانى:

[اعلم أن الذى فى مرتبته صلى الله عليه وسلم من تجليات الصفات والأسماء والحقائق لا مطمع فى دركه لأحد من أكابر أولى العزم من الرسل فضلاً عمن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأن الذى فى مرتبة أولى العزم من الرسل لا مطمع فى دركه لأحد من عموم المرسلين وأن الذى فى مرتبة الرسالة لا مطمع في دركه لأحد من عموم النبيين والذى فى مرتبة النبوة لا مطمع فى دركه لأحد من عموم الأقطاب وأن الذى فى مرتبة القطبانية لا مطمع فى دركه لأحد من عموم الصديقين].

فهل هذا هو الشيخ التجانى الذى تزعمون انكم تفهمون من كلامه أنه يفضل نفسه على الأنبيا والرسل؟ وأنتم معلنون بالخصومة للطريقة فهل يحتج بفهمك إذا لم يعارض؟ كيف وهو معارض من الشيخ التجانى بقول نفسه معارضة يسقط بها فهمكم ويتبيَّن بها سوء النية وما أضمر فى الطَّوية؟ والمرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم عُرِف.

أما الصحابة رضوان الله عليهم فإن الشيخ التجانى مصرَّح بأنهم أفضل الأولياء على الإطلاق ففى جواهر المعانى:

[وسألته رضى الله عنه عن تفضيل الصحابى الذى لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة فأجاب رضى الله عنه: اختلف الناس فى تفضيل الصحابى وذهبت طائفة إلى تفضيل القطب والراجح: تفضيل الصحابى على القطب بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين سوى النبيّين والمرسلين) وبقوله صلى الله

عليه وسلم (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه) وبقوله صلى عليه وسلم (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. الحديث) وبقوله سبحانه وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية) وهذا من شدة اعتناء الله بنبيه صلى الله عليه وسلم وخصوصيته له وبالله التوفيق].

وفي جواهر المعاني أيضاً:

[فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم ولو كان من أهل هذا الفضل المذكور في هذا الباب لمرتبة الصحبة ثم ضرب مثلاً رضي الله عنه لعمل الصحابة مع غيرهم. قال (عملنا مع عملهم كمشي النملة مع سرعة طيران القطاة وصدق رضي الله عنه فيما مثل به، لأنهم رضي الله عنهم حازوا قصب السبق بصحبة سيِّد الوجود صلى الله عليه وسلم، قال في حقهم صلى الله عليه وسلم: (**إن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين، ما عدا النبيين والمرسلين). وقال صلى الله عليه وسلم: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)**)].

فهل هذا هو الشيخ الذى تنسبون إليه أنه يفضل نفسه على الأنبياء والرسل، ثم ذهبتم تكيلون له السباب والشتم من غير أن يزعكم علم ولا أدب؟ .... اللهم احكم بيننا وبين هؤلاء الخصوم وأنت خير الحاكمين.

التجانيون وعداوة فرنسا

قلت فى مقالك ما يلى:

(أما الطريقة التجانية فقد عرفنا بعد أن اطلعنا على كتبها، واستقرينا (ولا تقل استقرأنا) أخبارها أن موقعها من الفرنسيين فى الشمال الأفريقى مثل موقع القاديانية فى الهند من البريطانيين. كانوا أعواناً للاستعمار حتى لقد سمعنا أنَّ زوجة شيخهم كانت فرنسية نصرانية لم تسلم وأنّ قبرها كما قالوا إلى جنب قبره يتبرك به والإسلام ينكر التبرك بقبور الأولياء الصالحين فكيف بقبور الكفار؟)

ويفهم يا أستاذ طنطاوى من كلامك هذا ما يلى:

(١) إن معلوماتك عن الطريقة التجانية تجمعت لديك من مصدرين وهما:

أ- كتب الطريقة.

ب- استقراء أخبارها.

(ويلزم التنبيه إلى أنك لم تذكر أين وممن كنت تستقرئ أخبارها لنتأكد من ثقة المصدر أو عدم ثقته).

(٢) أن خبر زواج شيخ الطريقة بامرأة فرنسية نصرانية لم تُسلم لها قبر إلى جنب قبر الشيخ والتجانيون يتبركون بقبرها -فهذه المعلومات لم يكن مصدرها كتب الطريقة فى (أ) أعلاه وإنما جزء من مصدر (ب) يليه، بدليل قولك: (حتى لقد سمعنا أن زوجة شيخهم ... الخ) وبدليل قولك (وإن قبرها كما قالوا ... الخ) راجع مقالتك يا شيخ.

كما يلزم التنبيه إلى أنك لم تذكر ممن سمعت؟ ومن هم الذين قالوا؟ لنعرف مدى ثقة المصدر الذى تنقلون منه.

ولا يهمنى يا أستاذ طنطاوى ما تعتقده فى ثقة المصادر التى تسمع لها أو تقول لك فإنك معلنٌ بالخصومة للطريقة فلن يفيدنا كثيراً توثيقك لتلك المصادر. على أن الذى يهمنى هو الفقرة (أ) من الجزء (١) الا وهو كتب الطريقة.

بالله عليك - يا أستاذ طنطاوى- أين وجدت فى كتب الطريقة ما يفيد المعلومات المذكورة فى الفقرة المنقولة؟ هل وجدت فى كتب الطريقة دفاعاً عن الفرنسيين؟ ما اسم الكتاب؟ وفى أى صفحة منه؟ فإن لم يوجد فكيف شبَّهت موقفهم بموقف القاديانية من الإنجليز

فى الهند.... وزعيمهم قد ألف وكتب فى تمجيد الإنجليز وكذلك فعل أصحابه.... فهل كتب التجانيون فى تمجيد فرنسا أو فى الدفاع عنها أو حتى ذكرها بخير ؟!!!

ولقد قلت يا أستاذ طنطاوى فى مقالتك ما نصه:

(الكتب المعتمدة عند التجانية والمعدودة فى أسس طريقتهم كـ (جواهر المعانى) و (بغية المستفيد) و (الإفادة الأحمدية) وهذه الكتب الثلاثة تعتبر من المراجع الموثوق بها عند أصحاب هذه الطريقة).

وإذن فهذه هى الكتب المعتمدة عند التجانيين باعترافكم .....فهل تعلم يا أستاذ أن هذه الكتب الثلاثة كلها مؤلفة قبل ظهور فرنسا فى المسرح السياسى؟ وقد توفى بعض أصحابها قبل الاحتلال المشئوم بنصف قرن. فهل هذه هى الكتب التى جمعت منها معلومات عن الطريقة تفيد كما زعمتم:

(أن موقعها من الفرنسين فى الشمال الأفريقى مثل موقع القاديانية فى الهند من البريطانيين كانوا أعوانا للاستعمار)؟!!

يا شيخ طنطاوى نحن لا نطلب منك أكثر من الإنصاف.... لقد ولد سيدى أحمد التجانى قبل الاحتلال الفرنسى لشواطئ إقليم الجزائر بست وتسعين سنة، ولم يعاصر الاحتلال الفرنسى فى الجزائر ولا فى المغرب ولا فى أي بقعة من الشمال الأفريقى وقد توفى قبل أن يخلق هذا الاحتلال المشئوم، فإن الشيخ التجانى رضى الله عنه ولد فى سنة ١١٥٠هـ وتوفى سنة ١٢٣٠هـ.

وارجع إلى كتب العلماء من غير أهل الطريقة لتتعرف على سنة ميلاد الشيخ ووفاته وقد ذكرها الشيخ العلامة محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه **(سلوة الأنفاس)** وكذلك الشيخ محمد بشير ظافر المدنى فى كتابه **(اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة)** وكذلك الشيخ عبد الرزاق البيطار فى كتابه **(حلية البشر فى أعيان القرن الثالث عشر)** وكذلك الشيخ العلامة أحمد بن ناصر السلاوى فى كتابه **(الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى)** وكذلك الدكتور حسن إبراهيم حسن مدير جامعة أسيوط سابقاً فى كتابه **(انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية)** وكذلك العلامة الجليل الشيخ محمد بن محمد بن مخلوف فى كتابه **(شجرة**

النور الزكية فى طبقات المالكية) ومن العجيب الغريب أن هذا الكتاب قد طبعه محب الدين الخطيب سنة ١٣٢٩هـ بالقاهرة وفيه أن الشيخ ولد سنة ١١٥٠هـ وتوفى سنة ١٢٣٠هـ.

فاسمح لنا يا شيخ طنطاوى أن نطلب منك طلباً لن يعجز رجلاً من أهل الحق وهو الإنصاف.... هل كان لفرنسا أو غيرها من الدول الاستعمارية أى وجود فى الشمال الأفريقى فيما بين سنة ١١٥٠هـ وسنة ١٢٣٠هـ وهى مدة حياة الشيخ التجانى؟!! ألا رحم الله من ينصف.

يا أستاذ طنطاوى إنَّ الشيخ أحمد التجانى لم يكن معاصراً لأىّ نوع من أنواع الاستعمار ولم يكن لفرنسا ولا غير فرنسا أىّ وجود سياسى فى الجزائر أو المغرب أو غيرهما من الشمال الأفريقى فكيف يكون عوناً لفرنسا.

وأما أن الشيخ التجانى كان متزوجاً بفرنسية نصرانية لم تسلم وأن قبرها بجوار قبره يتبرك به.... غفر الله لك يا أستاذ طنطاوى إنك تكتب كل ما يرد عليك صواباً كان أم خطأً.... صدقاً كان أم كذباً.... وتعتمد فى هذا على **(قد سمعنا)**.... وعلى **(كما قالوا)**.... فليتك يا أستاذ طنطاوى سمعت ما قاله الله تعالى ولم تسمع ما قاله الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون. اسمع يا أستاذ طنطاوى ما قاله الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

إن الشيخ التجانى يا أستاذ كان له زوجتان وهما السيدة مبروكة والسيدة الغالية ولا هذه فرنسية ولا تلك وله من الأولى ولدٌ واحدٌ وهو السيِّد محمد الكبير ومن الأخرى ولدٌ واحدٌ وهو السيِّد محمد الحبيب وذرية هذين السيِّدين وهم خلق كثير موجودون الآن بالمغرب والجزائر وبإمكانك يا أستاذ طنطاوى مقابلتهم لتسألهم إن كان فى أمهاتهم وإن علون سيدة فرنسية نصرانية لم تسلم يتبرك بقبرها الذى بجوار قبر جدهم.... كما زعم الذين سمعت منهم وهم قد كذبوك فصدقتهم.... والمؤمن كيّس فطن.

وقصة القبر نفسها مثيرة للسخرية.... فما عليك يا أستاذ طنطاوى لو ذهبت إلى بلاد المغرب وسألت عن قبر الشيخ التجانى لتكتشف الحقيقية المرة على مِنصَّة التحقيق العلمى العيانى وترى أنه لا يوجد قبر امرأة ولا رجل.... لا فرنسية ولا نصرانية ولا غير ذلك....

وتعلم يقيناً أن الذين حدثوك قد كذبوك فصدقتهم وكان عليك أن تتبين كما قال الله تعالى فى الآية السابقة فإن المؤمن كيس فطن.... وها نحن قد نبهناك فإنْ كنت ممن ينصف فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

ثم دعنى أتمشى معك قليلاً ولنفرض مثلاً أنَّ الشيخ تزوج فرنسية فهل هناك نص شرعى يمنعه من ذلك؟ هل الزواج بنساء أهل الكتاب حرام؟ أين النص؟ قال الله تعالى **﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾** وقال تعالى **﴿ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارةٍ من علم﴾**.

يا شيخ طنطاوى ألم يقل الله تعالى فى محكم تنزيله: **﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتَاب حِلٌ لكم وطعامكم حِلٌ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدانٍ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾**.

فهذا حكم الله تعالى فى الكتابيات أنه يجوز لنا أن نتزوجهن – فهب جدلاً أن الشيخ التجانى رضى الله عنه تزوج منهن أفتحرِّم عليه ما أحل الله؟ أم تقولون أن هذه الآية حكمها منسوخ؟ ولا أعتقد أنك تحّرم ما أحله الله فإن تحريم ما أحله الله كفر فهل من دليل على دعوى النسخ إن كنت تقول به؟ وإن كنت لا تقول به فما هو وجه تعيير الشيخ والإساءة إليه بفعل شيء قد أحله له الله ولغيره من المسلمين؟

وهذا كله على فرض أن الشيخ التجانى رضى الله عنه قد تزوج بفرنسية، كيف والقصة كلها كذب فى كذب نسجها خيالٌ مريض وأقوام لهم تِرة على أهل الطريق فصنعوها خبراً وحدثوا به الشيخ الطنطاوى فاطمأن إليهم فصدقهم ولم يفتش عليهم فزادوه فى الخبر خبراً وهو أن هذه الزوجة الفرنسية المزعومة مدفونة بجنب الشيخ سيدى أحمد التجانى فصدقهم الطنطاوى فى ذلك أيضاً فزادوه خبراً وهو أن التجانيين يتبركون بتراب قبرها فصدقهم الطنطاوى أيضاً.

ولا أستطيع أن أفهم لماذا لم يتبركوا بتراب قبر الشيخ نفسه وهو مدفون بجنبها؟ أم أنهم يرون أن مقامها أكبر من مقام شيخهم؟ يا أستاذ طنطاوى، أليس فى قصة التبرك بتراب القبر دليل على أن الرواية مصنوعة منسوجة؟ وكنا نظن بك الفطانة فكيف انطلت عليك هذه

القصة السمجة؟ إنَّ من سمعت منهم يا شيخ قد حدوثك فكذبوك، وها نحن قد بيَّنا لك حقيقة الأمر ولا نطلب إلا الإنصاف.

ثم لنرجع يا أستاذ طنطاوى إلى تلك الجملة فى الفقرة المنقولة من كلامك فى هذا المحل وهى:

(أن موقعها - يعنى الطريقة – من الفرنسيين فى الشمال الأفريقى مثل موقع القاديانية فى الهند من البريطانيين).

يا أستاذ إننا سنقدم على الله وأنت ستقدم على الله وستُسأل فاستعد لما ذكرته جواباً فى يوم ينفع الصادقين صدقهم.

أتُشبِّه التجانيين وهو مسلمون بالقاديانية الكفَّار المارقين أعداء الإسلام مدعيى النبوة الذين اتفقت أقوال أهل الإسلام على كفرهم؟ ألم تجد مثلاً للتجانيين إلا فى القاديانية؟ والتجانيون فيهم شيوخ الفقه وعلماء الحديث وحفاظه وأئمة التفسير .... وفيهم .... وفيهم .... فلم تجد لهم مثلاً إلا فى القاديانية الكافرة؟!!

ثم اسمع يا أستاذ طنطاوى ألم يكن للقاديانية والبهائية دعوة مكثفة ودعاة نشطون فى مصر والشام فى تلك الأيام التى سميتها (فتنة التجانية)؟ فإنى أسألك بالله أن ترجع إلى ذاكرتك أو ذاكرة مَن تثق به وتخبرنا أو يخبروك من هم الذين وقفوا فى وجه ذلك النشاط القادياني والبهائي المكثف؟ أليسوا هم شيوخ التجانية فى مصر والشام؟! من الذى قضى وجالد وحارب فتنة القاديانية فى مصر وقضى عليها قضاءاً لم تقم لها بعده قائمة؟!! أليس **هو الشيخ الجليل العلامة الفقيه المحدث السيِّد محمد الحافظ التجانى شيخ الطريقة التجانية بمصر رحمه الله؟!** أليس هو الذى نقض قواعد القاديانية فى دمياط والقاهرة والشرقية والإسماعيلية وغيرها من مدن مصر وفضح دسيستهم وكشف عن عداوتهم للإسلام والمسلمين وجهاده لهم مما يشكره له الله ويذكره به الناس.

ومن الذى أسكت داعية القاديانية (أبا العطا أفندى) وكسر شوكة داعية البهائية (عباس حسين المازندرانى) الذى يسمي نفسه (عبد البهاء)؟ من الذى قمع هذين وخضد **شوكتهما؟ أليس ذلك هو الشيخ محمد الحافظ التجانى شيخ الطريقة التجانية وصديق الشيخ علي الدقر** وتلميذ الشيخ بدر الدين الحسيني وكان هو وصديقه الشيخ على الدقر رحمهما الله

الرجلين اللذين بجهودهما رجع أناس كثيرون للإسلام، كانوا قد خرجوا منه، وتمَّ إيقاف مدٍّ تكفيرى رهيب فى المنطقة، مدعوم بأموال خارجية، وتنظيمات تبشيرية نصرانية، ولولا جهود هذين الرجلين لكان الأمر انحرافاً هائلاً فى العقيدة ولكن الله حفظ الإسلام بحفظه وبتأييده لأئمة الدين والدعاة إلى الهدى.

فماذا كان جزاء شيوخ الطريقة منك يا أستاذ طنطاوى؟ وصفت بعضهم بضيق الأفق، ووصفت آخرين بالجنون والكفر.... فهل ترى أنك أحسنت أم أسأت؟!!! يغفر الله لنا ولك.

وقد نشر زعماء القاديانية فى مصر بياناً فى سنة ٥٣ أعلنوا فيه للعالم خروجهم من ملّة القاديانية. وكل ذلك نتج عن نشاط السادة التجانية وجهودهم الدائبة المركزة فى القضاء على ملّة القاديانية التى أفسدت العقول ونقلت الناس من الإيمان إلى الكفر. وإليك يا أستاذ طنطاوى أسماء الذين تركوا القاديانية وقد كانوا زعماء فيها:-

(١) الأستاذ أحمد حمدي (رئيس الجماعة القاديانية بالقطر المصرى).
(٢) الأستاذ عبد الحميد السيِّد (سكرتير الدعوة والتبشير للجماعة القاديانية بمصر).
(٣) الأستاذ على فاضل (كاتب محكمة استئناف مصر العليا).
(٤) الأستاذ عبد السلام أحمد (رئيس مطبعة جريدة المطرقة).
(٥) الأستاذ أحمد عبد السلام.
(٦) الأستاذ سيد عبد السلام.
(٧) الأستاذ حسن أحمد عبد السلام

وقد نشر رؤساء القاديانية أعلاه بيان خروجم من القاديانية على الملأ. وبرجوع هؤلاء الزعماء وتوبتهم رجع خلق كثير ممن كانوا على ملّة القاديانية.

ويعود الفضل بعد الله تعالى إلى جهود أولئك الشيوخ من السادة التجانية الذين يعملون فى صمت طالبين مرضاة الله تعالى ولا يعلنون عن أنفسهم فى كل المحافل وعن أعمالهم مهما كانت بسيطة وينشرون مذكراتهم التى يصفون فيها أنفسهم بكل فضيلة كأنما خلقوا معصومين لم يقع منهم خطأ أصلاً ثم هم يرمون خصومهم بكل رذيلة مع أن النهى عن سبّ الأموات

منصوص عليه فى الشرع.... فأين دعوى متابعة النصوص مع هذه المخالفة الصريحة لها؟!!

وبإمكانك يا أستاذ على طنطاوى أن ترجع إلى تلك المقالات التى كانت تنشرها المجلات آنذاك عن جهود هؤلاء الجنود المجهولين عندكم.

وها هو الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى يذكر ذلك فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) فيقول:

[تعرفت فى هذه الفترة - يعنى سنة ١٩٢٨م – إلى السيد محمد الحافظ التجانى الذى جاء إلى الإسماعيلية خصيصاً ليحذر الناس من دسائس البهائيين ومكايدهم وقد كان لهم فى هذا الوقت دعوة ودعاة فى هذه النواحى، تقوى وتشتد وتنتشر، فأبلى البلاء الحسن فى تحذير الناس منهم وكشف خدعهم وأباطيلهم والرد عليهم، وقد أعجبت بما رأيته من علمه وفضله ودينه وغيرته. وناقشته طويلاً وكنا نسهر ليالى عدة – فيما يأخذ الناس على التجانية من غلو ومبالغة ومخالفات فكان يؤول ما يحتمل التأويل وينفى ما يصطدم بالعقيدة الإسلامية الصافية ويبرأ منه أشد البراءة].

وكذلك أخوه الشيخ عبد الرحمن البنا وقد لقيته وتناقشت معه كثيراً وكان يقول لى إنَّ أخاه حسن البنا ووالده كانا يحترمان شيوخ التجانية ويحبانهم محبة خاصة، قال لى وأنا أيضاً معهم فى هذا ... وعبد الرحمن البنا من رؤساء الإخوان وكان عضواً فى مكتب الإرشاد.

فالحاصل أن شيوخ الطريقة التجانية كانوا أعداء القاديانية والبهائية وجميع الملل المنحرفة عن العقيدة الإسلامية الصافية. فهل يحل لك يا أستاذ طنطاوى بعد هذا أن تشبه هؤلاء الشيوخ الأفاضل الأتقياء بالقاديانية؟! وما هو وجه الشبه؟! وقديماً قال الشاعر:

*** ومَنْ صَدِئَت مِرْآةُ ناظر فَهمِهِ أرته بوجه الشمس من كلف البدر**

ثم إن الشيخ على الدقر - وهو مَن تعرفون – فهو السيِّد الشريف العلامة المأمون فى دينه وخلقه والذى نجح فى سحق التبشير الاستعمارى الفرنسى فى الشام وقد كان رجلاً محسوداً على ما أنعم الله عليه به - قام لله وعلَّم لله – ونشر الدين لله – وتلاميذه قد انتشروا فى كل مكان وما دخلوا بلداً إلا أخرجوا المبشرين منه، فأجمع العام والخاص على حبه

وإجلاله وعرفوا له مكانته بينما لم يستطع خصومه أن ينفعوا المسلمين بجزء مما نفع المسلمين به.

وهل يضير الشيخ على الدقر أو أىّ عامل لله داعية له حسد مَن يحسد؟ كلا!! فأراد أولئك القوم من طريق الاعتراض على الطريقة التجانية أن يهدموا الشيخ علي الدقر شيخ الطريقة التجانية.

أما دعوى أن التجانيين كانوا أعواناً لفرنسا فلا تثبت على منصة التحقيق والتحاكم إلى الحق فى الحوداث التاريخية. ومحاربة التجانيين للمستعمرين الفرنسيين وغيرهم وأذنابهم من المبشرين، عمل عملوه لله لا يرجون شهادة من أحد .... فالله خير الشاهدين. وسوف أبيّن لك بعض جوانب تاريخهم الطاهر النقى فى عداوة المستعمرين عموماً والفرنسيين بوجه خاص ... وإليك الحقيقة...

ولد سيدى أحمد التجانى قبل الاحتلال الفرنسى لشواطئ الإقليم الجزائرى بست وتسعين سنة، ونزح من الجزائر قبل هذا الاحتلال بأربعين سنة وتوفى قبل أن يخلق هذا الاحتلال المشئوم.

ولم يكن فى زمان الشيخ أحمد التجانى استعمار فرنسى ولا غير فرنسى، وكان الأتراك المماليك يحكمون شواطئ الجزائر وما والاها من المدن والبلاد ولم يتمكن حكمهم إذا ذاك من قبائل البادية الضاربة فى الصحراء. وكان حكام الجزائر هؤلاء فيهم ظلم وغشم وعسف وجور وكان حالهم كحال إخوانهم المماليك فى مصر يغتال أحدهم الذى اشتراه، ويتزوج زوجته ويتولى مكانه من الإمارة حتى ينبغ من يفعل به كما فعل بسيِّده، بهيمية وحشية لا تعرف رحمة ولا عدلاً ولا خلقاً ولا تخضع لدين ولا لفضيلة وكانوا يجاهرون بتقديم قوانينهم على الشريعة الإسلامية ولا يبالون فى رد الحكم الشرعي.

وما عليك - يا أستاذ طنطاوى – إلا أن تطالع أى كتاب من كتب التاريخ عن تلك الفترة لترى كيف كان حكم أولئك المماليك غاية فى الاستبداد ومنتهى الطغيان وسفك للدماء ونهب للأموال واغتيال لبعضهم بعضاً. فكانت حكوماتهم المتعددة فوضى ولا يبالون فيها برد الحكم الشرعى. وكان الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه يبغض الظلم والعسف والجور ولذا كان لا يبالى بأن يعلن أنهم على ضلال وطغيان وقد استفتى الشيخ رضى الله

عنه فيهم فأفتى فيهم بالكفر .... وفتواه مذكورة فى كتاب (**الإفادة الأحمدية**) - الذى تقول يا أستاذ أنه من الكتب المعتمدة لدينا وتقول أنك قد اطلعت عليه- فهل غفلت عن هذه الفتوى أم تغافلت عنها؟!! وقد علقّ مؤلف (**الإفادة الأحمدية**) على فتوى الشيخ التجانى بتكفير المماليك الترك حكام الجزائر قال فى تعليقه ما نصه:

(وذا قاله - يعني التكفير- فى الترك الذين بالجزائر لأنهم يقدمون قوانينهم على قانون الشرع ويحكمون بغير ما أنزل الله ...).

فهذا هو الشيخ التجانى وهذه هى كراهيته لمن يحكم بغير ما أنزل الله.... وقد أتى تاجر من تجار فاس ممن يداخلون الحكام – أتى من بر الترك للجزائر وأتى بعسكر معه فذكرت قصته للشيخ التجانى رضى الله عنه وقيل له: إنَّ حكام الترك فرحوا به لأجل العسكر الذى أتى به لهم. فكان تعليق الشيخ هو: (**وقف موقف الغضب أعوذ بالله**).

وكلمته هذه مذكورة فى (**الإفادة الأحمدية**) التى ذكرت أنك قد اطّلعت عليها.

ولما أفتى الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه بكفر مماليك الأتراك حكام الجزائر لتقديمهم لقانونهم على قانون الشرع ثارت ثائرة الأتراك والحاكم التركى الذى كان الشيخ رضى الله عنه مقيماً فى الصحراء التى تلى البلاد التى يحكمها وكانت الصحراء لها حكم خاص لم يصل نفوذ الأتراك إليها كشأن سكان البوادى، فأرسل ذلك الباى إلى أهل أبى سمغون يتهددهم بأن ينزل عليهم بجيوش لا قبل لهم بها إن بقى ذلك الشيخ الذى لا يبالى بسطوة الحكام عندهم وهمّ الناس بالقتال واستعدوا له إلا أن الشيخ رضى الله عنه حقناً لدماء المسلمين غادر القطر الجزائرى سنة ١٢١٣هـ وهاجر إلى المغرب الأقصى حيث يحكمه أشراف سلجماسة وهى تافيلالت وكان السلطان إذ ذاك المولى سليمان رحمه الله وهو بحق سلطان العلماء وعالم السلاطين وله ترجمة فى كتاب (طبقات المالكية) للشيخ مخلوف وترجم له أيضاً الشيخ محمد عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى فى ثبته الضخم (فهرست الفهارس والأثبات فى الأسانيد والمسلسلات والمشيخات) فيراجع هناك.

ولما وصل الشيخ رضى الله عنه إلى فاس هرع إليه العلماء راجعين إليه فى معضلات المباحث فى العلوم والفتوى وهو يزيل إشكالاتها بعبارة سلسة واضحة مع الحجج البينة فأخذوا عنه واتفقوا على تقدمه فى الفضل وصحة الاقتداء به. لم يشذّ عنهم فى ذلك أحد.

وذكر الشيخ العلامة الجليل محمد مخلوف فى كتابه (شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية) الذى طبعه محب الدين الخطيب قال فى ترجمة الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ما نصه:

[كان يدرس ويفتى وله أجوبة فى فنون العلم أبدى فيها وأعاد وحرر المعقول والمنقول فأفاد، وفى عام ١١٧١هـ رحل لفاس وسمع فيها شيئاً من الحديث ولقى الشيخ الطيب الوزانى والشيخ أحمد الصقلى ثم رحل لتلمسان وأقام بها يدرس التفسير والحديث وغيرها وحج سنة ١١٨٦ومرَّ بتونس وأقام بها مدة وفى طريقه للحج لقى أعلاماً وأفاد واستفاد واجتمع بكثير من العلماء الأخيار ورجع بعد حجّه لفاس ثم رحل لتوات وأذن له فى التلقين سنة ١١٩٦. والحاصل أنه جليل القدر، قدم فاس سنة ١٢١٣هـ واستوطنها والسبب فى ذلك أنه كان الباى محمد بن عثمان صاحب وهران أزعجه من تلسمان إلى قرية أبى سمغون وحصل له بها الفتح وأقبل عليه أهلها. ولما توفى الباى وتولى بعده ابنه عثمان وقع السعى له بالشيخ فبعث إلى أهل أبى سمغون بتهديدهم إن لم يخرجوه ولما بلغ الشيخ ذلك خرج مع بعض تلامذته وأولاده، سالكاً طريق الصحراء حتى دخل فاس سنة ١٢١٣ وبعث رسوله إلى السلطان أبى الربيع سليمان يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك ولما اجتمع به ورأى سمته ومشاركته العلوم أقبل عليه].

فانظر كيف فعلت الفتوى بتكفير أولئك الظلمة الخارجيين على قانون الشرع، أنظر كيف فعلت فيهم وماذا لقى الشيخ التجانى من العنت بسببهم.

فهل مثل هذا الشيخ يكون عوناً لفرنسا لو قدرنا أن فرنسا كانت موجودة ومع ذلك فهو لم يعاصر ذلك الاستعمار المشئوم .... وإنما نخاطب بكلامنا هذا من يتقى الله وينصف.

وكان الشيخ رضى الله عنه قائماً بالدعوة إلى الله آمراً بالمعروف ناهٍ عن المنكر وكان يعظ أئمة المسلمين، وعامتهم وينصحهم عملاً بالحديث الشريف:

(الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم).

وكان من هؤلاء الأمراء ورؤساء الدولة من يسمع نصحه ومنهم من يرد عليه -وإنما يرد على الحق الذى يدعوه إليه – ولن يضير الشيخ التجانى أن يعاديه الظلمة أهل الطغيان

من الحكام مماليك الترك بالجزائر كما لن يضيره محاسيب الظلمة فى ذلك الزمان أو من ينقل عنهم فى هذه الأزمنة إفكاً ورثوه وأورثوه غيرهم، والشيخ شريف برئ طاهر.

ولما وصل إلى فاس كتب إلى سلطان المغرب بما أخذه الله من العهد على العلماء ليبيّننه ولا يكتمونه وقال للسلطان فى رسالته إليه ما نصه:-

(والرسالة مذكورة فى كتاب جواهر المعانى الذى زعمتم أنكم قد اطلعتم عليه):

اعلم أن الله عز وجل قد ولاّك أمر خلقه وائتمنك على بلاده وعباده فأنت أمين من **أمناء الله** فى بلاد الله وعباده والله سائلك عن أمانته وعن ما فعلت بها، فاحذر من الله أن **يجدك** فرطت واشتغلت عن أمره بلعب. لكن تكميل الأمر من كل وجه لا يستطاع بحكم الوقت **والحال** وعدم المساعف وعدم القابلية فى الخلق، لكن ليكن سيرك على حدّ قوله تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾** وعلى حدّ قوله صلى الله عليه وسلم **(إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا)** ، وأحذرك بما سمعت من الخصوصية التى اعطيتها من فضل الله تعالى فلا تأمن مكر الله فى حال من الأحوال، قال سبحانه وتعالى ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ واعلم أن من وراء خصوصيته مكراً وتدبيراً وغيرة يؤاخذ عبده بها من حيث لا يظن وإن كان من ذوى الخصوصية.

وأوصيك فى الضعفاء من الخلق فإنهم محلّ نظر الله من خلقه فعلى قدر اعتنائك بهم ترتفع رتبتك عند الله. وأوصيك بالمظلومين، يقول صلى الله عليه وسلم فيما معناه: من ولاه الله ملكاً فأتاه ذوو الحاجات فأحتجب عنهم، احتجب الله من حاجته الحديث ومعناه إن احتاج إلى الله فى أمر نزل بع فرفع حاجته إلى الله مستغيثاً مما نزل به احتجب الله عن حاجته فلا يلتفت إليه ولا يعبأ بدعائه واستغاثته. فالله ... الله ... دبّر كيف ترضى ربك فى حوائج المظلومين ولا تتغافل ولا تفرّط والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم] انتهى ما نقلناه لك من رسالة الشيخ التجانى إلى سلطان المغرب.

وقد ورث عنه أبناؤه بغض الظلمة والكفرة. فأما ولده سيدى محمد الكبير فقد عاد إلى الجزائر بعد وفاة والده فى فاس بمدّة، وكان معارضاً لحكم أتراك الجزائر الذين كانوا فى غاية الاستبداد وكان حكمهم كله طغياناً. ثار هذا السيّد على بعض تلك الحكومات بعد أن صدّوه عن الحج إلى بيت الله الحرام وقتل رحمه الله شهيد الغيرة على الدين وشعائر الله عز

وجل. وكان شعاره الكتاب والسنة والعدالة وإنما حاربهم فى الله. وكل ذلك حدث قبل أن تأتى فرنسا إلى الجزائر أو يحدث ما سبَّب مجيئها. فهل هذه هى موالاة فرنسا يا أستاذ طنطاوى إلا رحم الله من ينصف.

قال الشيخ الجليل العلامة الفقيه المحدث أحمد سكيرج العياشي فى كتابه (رفع النقاب):

[كان خروجه من عين ماضى الى أبى سمغون مع إخوانه وأخواله قاصداً مدينة أم عسكر حين استنجده الحشم -وهى قبيلة جزائرية- ومن جاورهم من القبائل فى فك رقبتهم من المظالم التى ألزمهم بها محمد باى التركى أمير الجزائر، مع ما كان ضربه هذا الباى من المغارم الكثيرة على أهل عين ماضى حتى كان صاحب الترجمة يعنى السيّد محمد الكبير – يدفع عنهم له مالاً كثراً اتقاءً لشره فتعيَّن عليه إغاثة من استنجده واستنصر به بعد أن سمع هاتفاً فى خلِوته مراراً، بالأمر له بالنهوض للدفاع عن الضعفاء فتحرك بجيش من أهل أبى سمغون وأهل الصحراء مع من انضاف إليهم من الأحباب حتى وصل للحشم. فسمع به الباى فوجّه إليه جيشاً عرمرماً وعندما تقابل الجيشان خان الحشم عهدهم وفتكوا بمن معه واستشهد معهم].

فهل هذه موالاة فرنسا التى لم يكن لها وجود آنذاك؟!

وأما أخوه سيّدى محمد الحبيب فقد ذكر الشيخ أحمد سكيرج العياشي فى كتابه (رفع النقاب):

[بلغنى أن باشا باى حاكم الجزائر كتب لباشا باى تونس ليقبض على صاحب الترجمة. سيدى محمد الحبيب حين رجوعه من الحج، فلما وصل لتونس أعلمه الباى بأن يمر على الصحراء إلى عين ماضى وحذره من أهل الجزائر، وكانت أعداء أولاد الشيخ يحرضون عليهم حكام الجزائر ويخوفونهم منهم، وقد بلغنى أن حاكم وهران كتب لأهل الأغواط بعد أن قبض منهم نحو أربعمائة شخص منهم ولد بوشيبة وولد أحمد الأخضر مخبراً بأنهم إذا وجّهوا له أولاد الشيخ فإنهم فى أمان].

وقال الشيخ الفقيه العلامة أحمد سكيرج العياشي فى كتابه (كشف الحجاب) ما نصه:

[وحدثني أيضاً -يعني الشيخ العلامة أحمد العبدلاوى- أن العدو كتب إلى ابن سيدنا رضى الله عنه -يعنى سيدى محمد الحبيب بن الشيخ التجانى رضى الله عنه- من الجزائر رسالة مضمنها: نطلب منك أن تقدم للجزائر لنتبرك بك، قال: فلما حلّت بيده الرسالة دخل بستانه وأمرنى بالدخول معه ثم قال لأحد من خدامه: سدَّ الباب ولا تترك أحداً يدخل علينا فلما اطمأن بنا الجلوس التفت إلى وقال لى يا فلان إنَّ البغلة ولدت، فقلت له: وما ذاك؟ فقال لى قد وقع كذا وكذا وقد عرفت مقصوده والآن جاوبه وقل له:

(إنني لا آتى إليه أبداً وإن ضيقت علىَّ فى هذا الوطن فأرض الله واسعة). قال: ثم افترقت تلك الساعة معه، وكنت فى الغالب أتعشى معه إلا فى ذلك اليوم فإني لم أملك نفسى من شدة الهول الذى داخلنى من أجله وبقيت متحيراً فى هذا الأمر وفى غد ذلك اليوم بعث إلىَّ فلما جئت إليه قال لي بعض الخدام: مالك لم تأت البارحة فى العشاء فإن ابن سيدنا إلى الآن لم يأكل شيئاً ولم يدر أحدٌ ما سبب ذلك فلما اجتمعت به قال: أسأل الله أن لا أرى وجه نصرانى ولا جواباً منه، فلم تمض أربعة أيام عليه حتى قبضه الله إليه].

فهل هذه هى موالاة الكفار يا أستاذ طنطاوى؟ وهل تزييف التاريخ وتشويه سمعة قوم أفضوا إلى ربهم من الأخلاق التى يدعو إليها الإسلام؟

وأما أحفاد الشيخ التجانى رضى الله عنه فهاك نبذة من تاريخهم المجيد:

سيدى عمار بن سيدى محمد الحبيب ثار فى وجه فرنسا ثورة عنيفة امتدت لعدة سنوات، وفى فاتحة سنة ١٨٦٩م اقتحمت الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال سونيز بلدة (عين ماضي) مقر سيدى عمار وقمعت الثوار واعتقلت سيدى عمار فى مدينة الجزائر سنة ١٨٦٩ وحالوا بينه وبين تلاميذه لا يتصل بهم ولا يتصلوا به، ثم قامت الحرب السبعينية بين فرنسا وألمانيا وخافت فرنسا على وضعها الاستراتيجي فى الجزائر أن يهتز فيؤثر على حربها فى أوروبا ولم تخش فرنسا فى بلاد الجزائر كلها إلا ذلك الرجل سيدى عمار فنفته من الجزائر واعتقلته فى فرنسا ثم خشيت أن يقوم أخوه سيدى محمد البشير بالثورة فاعتقلته وألحقته بأخيه وبقيا طوال الحرب السبعينية معتقلين بفرنسا.

فهل هذا هو الولاء لفرنسا يا أستاذ طنطاوى .... وأنت تنشر مذكرات تزعم فيها أنك أمين على التاريخ؟ وهل هذه هى الأمانة التاريخية؟

ثم جاء أبناء سيّدي محمد البشير ليواصلوا الجهاد والحرب على فرنسا. فهذا هو سيدي محمود بن سيدي البشير وقد تعاون تعاوناً وثيقاً مع الأمير عبدالكريم الخطابي أمير الجهاد في حرب الريف وقد أقر الأمير عبد الكريم بوقوع ذلك التعاون على حرب فرنسا وكان ذلك في عين تلك الأيام التي أسميتها (فتنة التجانية بالشام)، فهل لم تطلع على ذلك يا أستاذ طنطاوي؟... أم نسيت فتعتب على الذاكرة؟... أم هو تعمد تشويه الحقائق؟... نسأل الله السلامة... وهل يا أستاذ طنطاوي من يكون عوناً لفرنسا يتعاون أيضاً مع الأمير عبد الكريم في حرب فرنسا .... أفيدونا!!!.

وقد نشر محب الدين الخطيب في مجلة الفتح نص خطبة في تأييد فرنسا زعم الأستاذ محب الدين أن قائلها هو سيدي محمد الكبير أخو سيدي محمود فأرسل سيدي محمد الكبير وكان ما يزال على قيد الحياة، والحمد لله حتى يظهر الحق لمن يطلبه – أرسل إلى مندوبه بتكذيب الخطبةِ المزعومة وقد تحدى التجانيون الجريدة أن تثبت صحة نسبتها إلى سيدي محمد الكبير فلم تتمكن واضطر الأستاذ محب الدين أن يعلن تكذيب الخبر وعدم صحة الخطبة المزعومة- ونحن نشكر للأستاذ محب الدين رجوعه إلى الحق في هذا .... وكم من أناس يعرفون الحق ولا يرجعون.

وقد خرج سيدي الحاج بن عمر وهو الابن الأكبر لسيدي محمد الكبير وطاف العالم العربي والأفريقي فدخل مصر والسودان والسنغال ومالي ونيجيريا والكنغو يشرح القضية الجزائرية، ويدعو المسلمين للتكاتف وتأييد إخوانهم في الجزائر وكانت فرنسا ترقب نشاطه. ولما عاد للجزائر تمّ استجوابه واعتقاله.

فهل هذه هي موالاة فرنسا يا أستاذ طنطاوي؟

وفي يوم الاثنين الموافق ١٨ مارس سنة ١٩٥٧م أذاعت محطة صوت العرب بمصر أن الفرنسيين اعتقلوا سيدي ابن عمر زعيم التجانيين والسيد باش أغا حميدة والسيد مولودي بالأغواط، ووجدوا عندهم أسلحة وصلة وثيقة بالثوار. وهؤلاء الثلاثة من زعماء السادة التجانيين .... فهل هذه هي موالاة فرنسا يا أستاذ طنطاوي؟

وقد نشرت مجلة المصور المصرية في عددها الصادر في ١٢ جمادى أولي موافق ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥٦م صور بعض زعماء جيش التحرير الجزائري وكان أحد هؤلاء الزعماء تجاني .... فهل هذه هي موالاة فرنسا يا أستاذ طنطاوى؟!

إننا نأسف لك يا أستاذ طنطاوى حين قلت أن التجانيين كانوا أعواناً لفرنسا فطعنت المسلمين الأتقياء في شرفهم... ولم تخش حساب الله يوم يؤخذ لكل مظلوم مظلمته مِمّن ظلمه.

وكيف يكون التجانيون أعواناً لفرنسا وهم قد تربوا على بغض فرنسا وهاهم التجانيون يحاربون فرنسا في كل بلد من بلاد الإسلام. ولنأخذ بلاد الشام كمثال وأنت من بلاد الشام. مَن كان عدو الفرنسيين في سوريا؟ الرجل الذى أفنى عمره في جهادهم وجهاد اخوانهم الإنجليز حتى مضى لربه شهيدا؟ أليس هو الشيخ عز الدين القسام خليفة السادة التجانية وشيخ طريقتهم؟

ودعني أنقل لك ما هو مذكور في كتاب الثقافة الإسلامية والمقرر على طلبة الصف الثالث الثانوي في مدارس المملكة العربية السعودية باعتماد إدارة المقررات في وزارة المعارف يقول الكتاب:

[احتل الفرنسيون ساحل سوريا في نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ فثار عز الدين القسام في جماعة من تلاميذه ومريديه وطارده الفرنسيون فقصد دمشق إبَّان الحكم الفيصلي، ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها سنة ١٩٢٠ فأقام في حيفا بفلسطين وتولى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته ورياسة جمعية الشبان المسلمين واستفحل الخطر الإنجليزي والخطر الصهيوني فثارت فلسطين على الإنكليز. حكامها آنذاك – وكان القسام أحد قادة الجهاد في هذه الثورة حتى مات شهيداً في أواخر عهدها فدفن في قرية الشيخ بجوار حيفا سنة ١٣٥٤هـ/سنة ١٩٣٥م].

ثم استمر يصف صدق عزيمة هذا الشيخ من أتباع الطريقة التجانية في حربه مع الإنكليز وشراسة مقاومته لهم ونسفه لمستودعات ذخيرتهم واغتياله لضباطهم وعساكرهم، وما فعلوه فيهم في جنين ونابلس وطول كرم إلى أن قال الكتاب:

(وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل المجاهد ودارت معركة في غابة يعبد بمنطقة جنين ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥م وانتهت باستشهاد القائد وبعض رفاقه وأسر الباقون من عصبته المؤمنة وسُجنوا وعُذبوا طويلاً في سجون الاحتلال.

وذهب القسام البطل المجاهد إلى ربه شهيداً فجدَّد في النفوس سيرة علماء الإسلام المجاهدين، وقوى من عزيمة الشعب الفلسطيني الأبَّى المسلم، ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب فقال في قصيدته:

حرمٌ على أطراف "يعبد" قائم	في الطرم بارك حوله الرحمن
هبطته أطهر عصبة لو أنها	سبقت لرتّل مدحها القرآن
إن الزعامة والطريقُ مَخوفةٌ	غير الزعامة والطريق أمان
عرفت فلسطين الشهيد ولم تكن	لينام عنه ضميرها اليقظان
أولت عمامتُك العمائم كلها	شرفاً تقصَّر عندها التيجان
وجعلت لاسم الشيخ أرفع رتبة	نبذت قديم عهودها الأوطان
ما كنت أحسب قبل شخصك أمة	في بردتين يضمها إنسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة	في الخلد لا عنّت ولا أشجان
شهداء (بدر) والبقيع تهللت	فرحاً وهش مُرحبا رضوان

فهل هذه هي موالاة فرنسا أو بريطانيا أو أي مستعمر يا أستاذ طنطاوي؟! إلا رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم...

وما لنا نختلف يا أستاذ طنطاوي - على هذا الموضوع إذا كانت فرنسا نفسها تعتبر التجانيين من ألد أعدائها. وها هي كتبهم طافحة بذلك، وتقاريرهم المرفوعة إلى دولهم تشهد بالحقد الدفين الذي يحملونه للتجانيين. وها أنا أنقل لك كلامهم لكي تتأكد من ذلك وانقله لك عن علم من أعلام التحقيق ومن بلاد الشام عندكم ألا وهو الأمير شكيب أرسلان، وهو من تعرفون لا تسوقه العاطفة إلى المغامرة في ما يشوه الحقائق، قال الأمير رحمه الله ناقلاً عن كتاب "الإسلام والنصرانية في إفريقيا:

L'ISLAMISIME ET LE CHRITIANISME EN AFRIQUE"

لمؤلفه الفرنسي بونه موري "BONET MAURY"

قال بونه الفرنسي تحت عنوان (**التجانية**):

[وهناك الطريقة التجانية، مؤسسها أحمد بن محمد التجاني المتوفي في فاس سنة ١٨١٥م وكان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين. ومع هذا ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تقف التجانية عن استعمال القوة في مخاصمة أقرانهم ونشر العقيدة الإسلامية.

وأهم مراكز التجانية عين ماضي على بعد ٧٠ كيلو متراً في الجنوب الشرقي من الأغواط وفي تماسين وهم كثيرون في مراكش وقد تبع الطريقة التجانية عدد كبير من أهل ماسينة في السودان وأهالي فوتا تورو **FOUTATORO** وفوتا جالون وأمة البلة وصاروا من أشد أنصار الإسلام وانضموا حول راية الحاج عمر فكانوا طيلة أربعين سنة هم سادة السودان من تمبكتو إلى الآقياناوس الأطلانتيك.

وكان الحاج عمر هذا ابن شيخ مرابط ولد سنة ١٧٩٧ في قرية الفار من بلاد ديمار فرباه أبوه وعلمه ثم حج البيت الحرام وزار المدينة وقرأ مدة في الأزهر وعاد إلى بورنو سنة ١٨٣٣.

ثم ذهب إلى بلاد الهاوسة وأخذ يعظ الناس بالرجوع إلى عقيدة السلف وفي أثناء ذلك جاء أخوه ومضى به إلى بلاد فوتا من السنغال، فعرج على بلاد البامبارة، وحصلت معه هناك حوادث وعوارض كثيرة لكنه تغلب عليها وانضم إليه في بلدة كنكان رجل يقال له محمد وسار على طريقته وأدخل في الإسلام فرقة من البله ويقال لهم الواسو لونكه **OUASSOULONKE** ولما علت كلمة الحاج عمر ونظر إليه الناس نظرهم إلى المهدي حشد جيشاً صغيراً وأثار جميع مسلمي بلاد غابون وهزم البامبارة الوثنيين شر هزيمة في مونيا واستولى بعدها على كونياكرى.

وسنة ١٨٥٤ جعل مقره العام في (**NIORO**) ثم استولى على مملكة سيفو وعلى بلاد ماسينا وكانت وفاة الحاج عمر سنة ١٨٦٥ وهو في حرب مع ماسينا وقد خلّف للطريقة التجانية سلطنة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنوج الوثنيين، ثم خلف الحاج عمر ابن أخيه ومريداً آخر له اسمه أحمدو شيخو بن عمر وحاولا توسيع فتوحات الحاج عمر وأثارا أهالي فوتا توروا والسونينكه الذين في بلاد كاآراته (**KAARATA**) والتوكولور الذين في

السنغال على فرنسا **فصار وجود هذه السلطنة التجانية في وسط السودان خطراً عظيماً على سيادتنا.**

وكان تحرير الخلاف هذا:

هل يتم تمدين السودان الغربي على يد فرنسا وضباطها والمبشرين المسيحيين أم على يد التجانية رسل الإسلام؟

فالكولونيل أرشينارد بأخذه جنة (DJENNE) وبندجاقار أوقف غارة التجانية في هذا القسم من أفريقيا ويسر فتح السودان بين يدي المدنية الأوروبية ثم عقب ذلك فتح الكولونيل دورغنيس ديبور (DORGNIS-DESBORDES) لبلد بامكو (BAMMAKOU) و استلحاق القومندان غاليني (GALIENI) لبلاد فوتا جالون وافتتاح الكولونيل أرشينارد لبلاد ماسينا وتتوجت جميع هذه الفتوحات باحتلال تمبكتو في يناير سنة ١٨٩٤ مما خلد أعظم الشرف للعساكر الفرنسية **وأعاد ذكرى ظفر شارل مارتل في بواتييه (POITIERS) بسبب ما كان يترتب من النتائج العظام لمستقبل أفريقيا فيما لو لم يتم هذا الظفر].**

فهاهو يا أستاذ طنطاوي رأى الفرنسيين في الطريقة التجانية ..... يعتبرونها أكبر عدو لهم في المنطقة وأنهم هم الذين كانوا يعوقون تقدم الاستعماريين الفرنسيين. فهل بعد هذا يمكن أن يقال أن التجانيين (كانوا أعواناً لفرنسا) كما ذكرتم يا حضرة الشيخ؟!!!

ولقد علق الأستاذ الأمير شكيب أرسلان على كلمة هذا الكاتب الفرنسي بونه BONET-MAURY التي في آخر المقال أعلاه: وهي

[أعاد ذكرى ظفر شارل مارتل في بواتييه بسبب ما كان يترتب من النتائج العظام لمستقبل أفريقيا فيما لو لم يتم هذا الظفر] قال:

[يشير إلى أن أفريقيا كانت تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التجانية هذه كما أن أوروبا كانت تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتييه وهي الكلمة التي يتفق عليها مورخو الأفرنج].

فهل هذه هي التجانية التي تقولون يا شيخ عنها أنهم (كانوا أعواناً لفرنسا)؟!! اللهم أشهد وأنت خير الشاهدين.

ومن الغريب العجيب أن كتاب (حاضر العالم الإسلامى) الذى نقلنا لك منه الفصل أعلاه قد قام بطبعه ونشره الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية من قبل أزيد من خمس وخمسين سنة، أى في نحو زمان ما أسميتموه (بالفتنة التجانية بالشام) ومحب الدين الخطيب هو أحد الذين تحتجون به على التجانية .. هل هذا إنصاف؟ اللهم اشهد.

ولنختم هذا المبحث بالرسالة التى أرسلها الشيخ عمر بن سعيد الفوتي لبعض أصحابه وبها تعرف موقف التجانيين من الاستعمار الفرنسى.... والشيخ عمر بن سعيد الفوتي من كبار شيوخ الطريقة التجانية ومقامه في الطريقة ومكانته فيها مذكور في الفصل (٢٩) من كتاب (رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم) على هامش كتاب (جواهر المعانى) الذى تقولون أنكم اطلعتم عليه يقول الشيخ عمر بن سعيد الفوتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيّدنا النبى الرحيم وعلى آله وصحبه الكرماء وجميعهم هم الرحماء. أعلم أن أمر النصارى عندنا هيّن والحمد لله ولا شيء يلجئنا إلى مسالمتهم لا من سلاح ولا من غيره بحمد الله تعالى ولا يصح بيننا وبينهم إلاّ ما حكم الشرع المطهر به بيننا وبينهم وذلك قتالهم وعدم موالتهم كما قال الله تعالى:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾.

وأما موالتهم فقد حرمها الله ورسوله، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾.**

وأما مسالمتهم فهى أيضاً حرام علينا وعلى كل من ينتسب للإسلام الحنيفي، قال الله تعالى: **﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وانتم الأعلون والله معكم﴾.**

فوالله لا يكون بيننا وبينهم إلاّ ما أمرنا الله ورسوله به من القتال والعداوة والبغضاء حتى يعطوا الجزية على ما قال الله تعالى:﴿ **وهم صاغرون**﴾ فوالله لا نواليهم أبدا بصلح أو بيع مع علمنا بأن كل من والاهم بأى شيء قلّ أو كثر مستحلاً لذلك فهو كافر كتاباً وسنة وإجماعاً، وإن من والاهم ولم يستحلّ كان محارباً لله ورسوله، فواجب علينا قتاله كقتالهم ومن باع لهم ولو أقل قليل أو أعان من باع أو سعى لهم في شيء يرضونه ناوياً أن يحصل به

شيء ما ينفعهم أو يحسن عندهم فنحن من أهل حربه دنيا وأخرى وبرزخاً والله لا يحوجنا إلى شيء بأيديهم لعلمنا بأن ما في أيديهم لنا إن شاء الله ولا نكون بعون الله ممن في قلبه مرض ويسارع في مولاتهم كما قال الله تعالى:

﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ إلا إن طلبوا المسالمة على وجهها المطلوب منهم بذلة ومسكنة وخضوع وإذعان وذلك واقع فحينئذٍ نقبل ممتثلين قوله تعالى: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح له وتوكل على الله﴾**. وأما غير هذا فمعدوم منا ما داموا معتقدين الغلبة والتغلب على بلاد المسلمين بظنونهم الفاسدة) أهـ.

فهل بعد هذا كله يصح يا أستاذ طنطاوى –أن يقال أن التجانيين كانوا أعوناً لفرنسا كما كان القاديانيون أعوانا للإنجليز؟!! لقد تجنيت يا أستاذ على هؤلاء الأطهار.... ولو كان القوم يعملون من أجل الشهرة والسمعة لكان لهم شأن آخر، ولكنهم يعملون لله.

ولا أجد وصفاً لهؤلاء السادة التجانيين أجمل من تلك الكلمات التى وردت في كتاب الثقافة الإسلامية الذى يُدرَّس بمدارس المملكة العربية السعودية، قال المؤلف:

[يؤثر العاملون المخلصون الجهاد الصامت ويعملون في أناة وروية بعيداً عن الشهرة والسمعة يبتغون بذلك وجه الله فلا يعرف أحدٌ عنهم شيئا، إلا الخُلَّص من جلسانهم وأتباعهم أو من عاشوا على مقربة منهم، فإذا طوتهم الأيام دون أن يكون لهم اسمٌ لامع وذكرٌ ساطع فإن الله حسيبهم وكفى بالله حسيباً.

وكم علت أسماءٌ وتلألأ نجمها لا تستحق أن تكون شيئاً مذكوراً ولكن أرادت لها ذلك القوى التى توجّه التاريخ في الخفاء من وراء ستار فصنعت منها بطولات وأضافت عليها هالة من الإكبار فأصبحت في مصاف القادة والزعماء.

وفي عصرنا الحاضر حيث أمسكت قوى الغدر والاحتلال بأزمّة كثير من ديار الإسلام - ذهب ويذهب – في سجل الخالدين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفاءً لعقيدتهم وانتصاراً لدينهم فماتوا شهداء **ومن هؤلاء محمد عز الدين ابن عبد القادر القَّسام]**.

والحمد لله أننا حصرنا جوابك في تهمة التعاون مع فرنسا وإلا فعداوة أهل الطريقة مع سائر المستعمرين معروفة عند المنصفين، ولو ذهبنا نقصَّ عليك عداوتهم مع الاستعمار

الإنجليزي في مصر والسودان وفلسطين لطال بنا الكلام، ولكن حيث أنك قد اتهمتهم بفرنسا فقد أجبناك عن تهمة فرنسا.

وبقي تنبيه يجب أن نلفت نظرك إليه أن التجانيين فى عداوتهم مع المستعمر لا يعادونه لأنهم تجانيون، وإنما لأنهم مسلمون يغارون على دينهم ويعلمون أن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه وأنه ليس للمؤمن أن يذلَّ نفسه كما ورد في الحديث الشريف، فمن هذه القاعدة انطلقوا وعن هذا المنظور توجهوا، فأهل الإسلام كلهم - تجانيون وغيرهم- يدٌ واحدة على جميع المستعمرين بجميع أنواعهم ومَن يليهم مِن المخرفين الذين يُسمون أنفسهم مبشرين، يريدون أن يخرجوا الناس من دينهم ويطفئوا نور الله بأفواههم واللهُ مُتم نوره ولو كره الكافرون.

والحمد لله ها قد ظهرت براءة التجانيين من تهمة التعاون مع فرنسا ... فهل نجد فيك يا أستاذ طنطاوى من الشجاعة ما يكفي للإعتذار إلى التجانيين قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلاَّ من أتى الله بقلب سليم، والأمر يومئذٍ لله، ومَن أخر ظلامته إلى يوم القيامة فقد قضى على خصمه والله وليُّ الذين آمنوا.

لمحة
إلى بعض أصحاب الشيخ التجانى
رضى الله عنه

قلت في مقالك (عمود ٤) بعد أن اسأت إلى الشيخ بما يصبح المرء به آثماً ونرجو لك توبة نصوحاً:

(العجب ممن يصدّقه ويعظّمه ويحسبه من أئمة الدين وعلماء المسلمين).

إن الأمر المقطوع به أنكم لا تعرفون شيئاً عن الشيخ التجانى رضى الله عنه، لا حياته ولا علمه ولا فقهه، ولست هنا بصدد تعريفكم بالشيخ التجانى، فاطلب العلم في مظانه تجده، على أنى سوف أحصر نفسى فى جوابكم عن تهمتك فى مقالك لكل من تبع الشيخ التجانى.... وقد نهاك الله تعالى فى كتابه عن الظن ونهاك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عن تحقير المسلمين (**بحسب امرءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**).... على أنك لست ممن يرجع إليه فى معرفة أصحاب الشيخ التجانى رضى الله عنه، كيف وقد ثبت ضعفك فى معرفة الشيخ التجانى مع أن شهرته قد طبقت الآفاق، وترجمته مذكورة فى كتب أهل العلم ككتاب (الشرب المحتضر من معين بعض أهل القرن الثالث عشر) للشيخ العلامة جعفر بن إدريس الكتانى وكذلك فى كتاب (سلوة الأنفاس فى أعيان فاس) لشيخ المحدّثين محمد بن جعفر الكتاني، وفى كتاب (اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة) للشيخ محمد بشير ظافر المدنى. وفى كتاب (الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى) للشيخ ابن ناصر السلاوى، وكتاب (شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية) للشيخ محمد بن مخلوف.

وماذا يضيرنا يا أستاذ طنطاوى أن ينتفع بالشيخ التجانى ألوف الألوف من سائر طبقات الأمة الإسلامية ثم لا تنتفع أنت وأصحابك؟

أيكون عدم انتفاعك بعلم الشيخ وبفقهه جُرحاً فيه وتهمة له؟ .... كلا!! وقد عرف الشيخ جماعة من أهل العلم الاكابر من الذين يقتدي بالهدى الذى كانوا عليه وسأنقل لك فى هذه العجالة ذكر طائفة منهم لتعلم ما فاتك ..... وكم فاتك !! وإنَّ الشيخ التجانى رضى الله عنه فى جلالة قدره واشتهار أمره، مما لا يحتاج معه إلى تنبيه إليه بطريق ذكر أصحابه وتلامذته، وإنما نذكرهم لك ههنا لتعلم أن أصحابه من أجلة العلماء فى كل عصر، وأن كون الشيخ على الدقر تجانياً ليس (لغزا) كما حاولتم أن تفسروا أمره وإنما هو رجل أنس بعلمه رشداً فتبع الحق وإنما (اللغز) فى أقوام يعرفون الحق ويعرضون عنه وهم يعلمون أنهم سيعرضون على الله لا تخفى منهم خافية.

وألتزم على نفسى فى ذكر هذه الطائفة من أصحاب الشيخ التجانى رضى الله عنه أن أنقل ما وجدت سبيلاً عن كتاب (طبقات المالكية) للشيخ محمد بن مخلوف، وإنما أفعل ذلك لأن هذا الكتاب قد قام فى طبعه ونشره الأستاذ محب الدين الخطيب الذى تحتجون به علينا.

فمن أصحاب الشيخ التجانى رضى الله عنه:

(١) أحمد بن أحمد البنانى

فقيه عصره ووحيد مصره، شيخ الجماعة فى زمانه ومقدم الأئمة فى أوانه، حامل لواء المعقول والمنقول وإليه المرجع فى الفروع والأصول، وكان من كبار شيوخ الطريقة التجانية والقائمين بالجد والاجتهاد، وقد لقى الشيخ سيّدى أحمد التجانى رضى الله عنه، وأجازه فى الطريقة صاحبه الشيخ عبد الوهاب بن الأحمر رضى الله عنه، وأخذ أيضاً عن الشيخ الجليل محمد بن أبى النصر العلوى رضى الله عنه. وعندما توفى سيّدنا محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه كان هو الذى تولى غسله.

توفى رحمه الله قرب شروق يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى سنة ١٣٠٦هـ وصلى عليه بجامع القرويين بعد صلاة الجمعة ودفن بقباب باب الفتوح، رحمه الله.

قال الشيخ مخلوف فى طبقاته:

[أبو العباس أحمد بن أحمد البناني شيخ الجماعة، الإمام فى علم المعقول والمنقول فى عصره، المبرز فيه على جميع أقرانه من أهل مصره، المسن البركة الكامل المحدث الأصولى، الفاضل، العلامة المحقق، المشارك المدقق، أخذ عن جلة منهم الوليد العراقى، وعبد السلام بو غالب، واظب على التدريس والإفادة، والتحقيق والإجادة، وتخرج به جماعة من الأعيان منهم: محمد بن جعفر الكتانى، حضر مجلسه فى الأصول والبيان والحديث وقرأ عليه أوائل الكتب الستة والموطأ وشمائل الترمذى وأجازه به وبغيرها بالقول إجازة تامة بجميع مروياته كما أجازه أشياخه بالقول، منهم الوليد المذكور وهو عن أبى بكر بن كيران وحمدون بن الحاج وإدريس بن زيان العراقى ثلاثتهم عن الشيخ التاودى وحج وزار وحصل له هناك ظهور واشتهار وطال عمره، وتوفى فى جمادى الأولى سنة ١٣٠٦هـ وكانت جنازته فى غاية الاحتفال].

وقد كان والده الشيخ أحمد بن محمد البناني من الأئمة الأعلام في علم المعقول والمنقول، وكان قويّ الذاكرة في حفظ المسائل العلمية متقناً عاملاً ناسكاً، وقد أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه.

وولده الشيخ الحسن. أخو شيخ الإسلام أحمد كان بارعاً في العلم والأدب، وقد كتب له الشيخ التجاني رضي الله عنه سورة الرحمن بخط يمينه لما بلغ في القراءة إلى هذه السورة. وقد تلقى الطريقة عن الشيخ موسى بن معزور رضي الله عنه عن الشيخ التجاني رضي الله عنه توفي رحمه الله سنة ١٢٧١هـ بمراكش.

(٢) محمد بن أحمد السنوسي

العالم العلامة الدراكة الفهامة أبو عبد الله محمد بن أحمد الشهير بالسنوسي، كانت له يدٌ طولى في فنون شتى من العلم، لا سيما علم الحديث، فقد كان له فيه التقدم والإمامة، وكانت مجالسه في شرح صحيح البخاري من المجالس الحفيلة.

قال فيه صاحب طبقات المالكية:

[أبو عبد الله محمد بن أحمد السنوسي الحسني إمام الضريح الأندلسي الفقيه العلامة القدوة المحدّث المشارك العمدة. أخذ عن الشيخ الطيب بن كيران وغيره. توفي في ربيع الاول سنة ١٢٥٧هـ].

(٣) أبو محمد الحاج الداودي التلمساني

الإمام الجليل العالي القدر، ممن أطبق الناس على علمه وفضله ونبله وارتفاع مكانته في العلم والعمل، لقي الشيخ التجاني رضي الله عنه وأخذ عنه وتفقه بتلميذه الشيخ العلامة محمد بن المشري رضي الله عنه.

قال الشيخ مخلوف في طبقاته:

[أبو محمد الحاج الداودي التلمساني الفقيه العالم المتفنن ،الإمام المؤلف المتقن، أخذ عنه أعلام تلسمان وتولى القضاء بها وهاجر إلى فاس حين استولت فرنسا عليها وحج ولقي أعلاماً منهم الشيخ الأمير، وأجازه بما أجازه الشيخ السقاط وبما في فهرسته، وعنه أعلام منهم الشيخ الحاج صالح بن محمد المعطي التادلي وأجازه، له تآليف منها شرح الهمزية وشرح البردة وحاشية على السعد وشرح على البخاري لم يكمل – توفي سنة ١٢٧١هـ].

(٤) محمد بن أحمد الكنسوسي:

علامة الزمان وأعجوبة الوقت، شيخ الشيوخ الفقهاء، وإمام مشيخة العلماء. وإذا قيل الفقيه في بلاد المغرب فلا تنصرف إلا إليه.

قال الشيخ مخلوف في طبقاته:

[أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي الفقيه العلامة المؤرخ المطلع الفهامة، شاعر زمانه وفريد عصره وأوانه، ألف كتاب الجيش، توفي سنة ١٢٩٤هـ].

وقد ترجم له خلقٌ كثير من العلماء وقد أفرد بعضهم ترجمته في كتب مفردة، وهو الشيخ الإمام، تقصر عن معناه الخطى، وقد دخل بدخوله في الطريق خلق كثير لا يحصون، وهو في أمانته وعلمه واتساع عارضته وتقواه وورعه، ممن يقتدى به، وكان قد لقي الشيخ التجاني رضي الله عنه وحضر الصلاة عليه. قال في أحد أجوبته لبعض أحبابه: [اعلم أننا أدركنا سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه ووجدناه بقيد الحياة لما رحلنا لطلب العلم الشريف بحضرة فاس وذلك عام ١٢٢٩، وزرناه والحمد لله ودعا لنا بخير وسمعنا منه ورأينا وجهه السعيد مراراً وحضرنا جنازته وظفرنا بالصلاة عليه وذلك من أعظم فضل الله علينا وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ١٢٣٠هـ].

وقال في جوابه للبكاي:

[كنت أسمع بعض أشياخي الصالحين الذين أقرأ عليهم يقول المرة بعد المرة إذا عنت عويصة من أقوال المفسرين أو المحدثين: **(قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه) ويبالغ في تعظيم ذكره، فسألت الناس عن هذا الذي يعظمه الشيخ هذا التعظيم كلما ذكره، فقيل لي: ولي كبير الشأن متبحر في العلوم ولا يسأل عن شيء من العلوم إلا أجاب بصريح الحق والصواب، بلا روية ولا مراجعة كتاب، فكتب السائل جوابه من إملائه وحفظه كأنه يسرده من أصل صحيح].**

محمد الحافظ العلوي الشنقيطي والشيخ محمد الطالب الشنقيطي والشيخ محمد السالك الوداني.

(٥) فأما الشيخ محمد الحافظ العلوى فهو:

شيخ شيوخ الشنقيط، وبيته من كبرى بيوتات العلم فى تلك النواحى، وقد تخرّج به فى العلم خلق، وهو رضى الله عنه من أئمة الفقهاء، ومن كبار حفاظ الحديث وهو من أجل من أخذ من الشيخ العلامة الحافظ الشيخ صالح الفلانى، صاحب الأثبات المشهورة وشأنه فى العلم والعمل أشهر من أن يشار إليه.

(٦) وأما الشيخ محمد الطالب جَدُّ الشنقيطى فهو:

العالم الذى ضربت أكباد الإبل إليه فى طلب علمه والجهبذ الكبير الذى سلمت له العلماء فى سعة اطلاعه وثاقب فهمه، قاضى شنقيط وإمامها، وجلالة قدره فى العلم والعمل مما لا يقع فيه التنازع.

(٧) وأما السالك الودانى فهو:

العلامة المتفنن الدراكة المتقن الذى يلقب بترجمان العلم والقرآن. وعلى يد هؤلاء الثلاثة انتشر الطريق فى بيوتات العلم فى بلاد شنقيط.

قال الشيخ محمد الصغير التشيتى فى كتاب الجيش ما نصه:

[فإذا تمهّد هذا فالشيخ التجانى رضى الله عنه جمع أصول الشرف من العلم والولاية والنسب النبوى، ووصفه بالولاية العظمى عدول أثبتوها له. وشاهدوه ورأوا عليه علامات الولاية والخصوصية، وأخذوا عنه ورده، منهم الشيخ سيّدى محمد الحافظ العلوى وقاضى شينقيط ومدرسها الفقيه الطالب جدّ بن الشيخ العلوى وإمام ودّان وعالمه أوحد زمانه، السالك ابن الإمام الحاجى رضى الله عن الجميع ولا نعلم أحداً أعدل من هؤلاء النفر الثلاثة فى المغرب الأقصى].

(٨) محمد الأمين الزيزى:

وهو العلامة الفقيه، نسبة إلى زيز، وقد ذكره العلامة المحقق الشيخ الطالب بن الحاج فى كتابه (الإشراف عن بعض من بفاس من مشاهير الأشراف) وذكر أنه لقى الشيخ التجانى رضى الله عنه وأخذ عنه الطريق.

وقال الشيخ مخلوف فى طبقاته:

[أبو عبد الله محمد الأمين الزيزى العلوى الإمام الفقيه العالم الذكى العمدة أخذ عن الشيخ حمدون بن الحاج وغيره واتصل بالشيخ التجانى، توفى سنة ١٢٥٩هـ].

(٩) محمد بن سليمان المناعى التونسى:

العلامة المتقنن والدراكة المتقن. قال عنه الشيخ مخلوف فى طبقاته:

[أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعى العالم المتبحر فى الفقه وأصوله، طويل الباع فى غيره، كثير الإطلاع، أخذ عنه الشيخ صالح الكواش والشيخ إسماعيل التميمى والشيخ حسن الشريف وغيرهم. ورحل لفاس وأخذ عن الشيخ التاودى والعارف بالله الشيخ أحمد التجانى وعنه جماعة منهم، ابن أبى الضياف والشيخ محمد النيفر].

وقد كان اجتماع الشيخ محمد بن سليمان المناعى بشيخنا أحمد التجانى رضى الله عنه فى مدينة فاس وكتب إلى بعضهم يصف الشيخ أحمد التجانى بما نصه:

[بحر فى علم الشرع الظاهر لا مثيل له فيما رأت عينى يحفظ من كتب الفقه مختصر ابن الحاجب ومختصر الشيخ خليل وتهذيب البراذعى على ظهر قلبه وحكى لى أنه يحفظ جميع ما سمع من سماع واحد.. وأما كتب الحديث فيحفظ صحيح البخارى وصحيح مسلم والموطأ على ظهر قلبه وأما كتب التوحيد فهو نظير الغزالى فى هذا الوقت، والقلوب بيد الله يصرّفها كيف شاء].

(١٠) محمد بن عبد الله الجيلانى:

الفقيه العلامة الدراكة الفهامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجيلانى من خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنه وهو ممن عرف الشيخ رضى الله عنه من أيام طلب العلم. وكان هو والشيخ التجانى رضى الله عنه يطلبان على الشيخ الدقّاق رحمه الله فى السبع وعلى الشيخ الجمال وعلى الشيخ السلجماسى فى صغرى السنوسى..

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الله الجيلاني عن الشيخ سيدى أحمد التجانى فقال:

[أما الشيخ أحمد فإنه أخى فى الطلب، كان يراقبنى فى أحوالى وأراقبه فى أحواله، عالم بأمور الدين والدنيا جامعٌ بين علمي الشريعة والحقيقة له يّد طولى فى علم المعقول والمنقول، تقيٌ عارفٌ بالله لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يحوم حول الحمى، يُشار إليه

بالصلاح فى ابتداء أمره، ذاكراً مجداً عازماً مجتهداً اجتمع بمشايخ عظماء القدر مجازاً، مأذوناً له فى التأليف مقتدىً به، والغالب على ظني أنه من أهل الكشف].

(١١) أبو العباس أحمد بن بابا الشنقيطى:

قال عنه الشيخ مخلوف فى طبقاته:

[أبو العباس أحمد بن بابا بن عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن الطالب الشنقيطي التجانى العلوي الفقيه الأديب العلامة المشارك الأريب الألمعى الفهامة. كانت له اليد الطولى فى العلم وخصوصاً فى فن السير والفقه والأصول والبيان والنحو واللغة والمنطق والعروض، وأشعار العرب وأيامها والأخبار والنوادر، أما التصوف فقد رزق فيه الذوق الغريب وكان من أعاجيب الدهر فى الذكاء والفطنة ومكارم الأخلاق، وحُسن الشيم وعلو الهمة مع الجد والاجتهاد فى طاعة رب العباد، أخذ عن أعلام، وأخذ الطريقة التجانية عن الشيخ محمد الملقب بالخليفة. له نظم (منية المريد) فى التصوف].

قلت:

والشيخ أحمد بن بابا العلوى هو المذكور فى شيوخ الشيخ عارف حكمت، شيخ الإسلام الشهير الذكر ويسميه فى فهرسته (بالشيخ أحمد التجانى) ونظمه (منية المريد) التى ذكرها الشيخ مخلوف فى طبقاته هى التى شرحها الشيخ العلامة العربى بن السائح الشرقى بكتابه (بغية المستفيد من شرح منية المريد) وهى من أمهات كتب الطريقة التجانية وهى التى تزعم يا أستاذ طنطاوى إنك اطلعت عليها وتدعى إنك وجدت فيها باطلاً وكفراً وكيف يستقيم قولك هذا وصاحب النظم أحد أفراد علماء المسلمين وشارحها أحد الأئمة الأعلام.. ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

(١٢) أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون:

قال الشيخ مخلوف فى طبقاته:

[أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن حمدون، الشهير بابن الحاج الفقيه العلامة المحقق، الأديب البليغ، الفهامة العارف بالله، صاحب التآليف الحسنة والفوائد المستحسنة والخطب النافعة والحكم الجامعة والنظم الرائق، والنثر الفائق، إليه انتهت الرئاسة فى جميع العلوم واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم، وأخذ عن الشيخ الطيب بن كيران

وشاركه فى كثير من شيوخه، والشيخ التاودي والشيخ البناني والشيخ البازغى، والشيخ عبد القادر بن شقرون وأجازه الشيخ محمد بن عبد السلام الناصرى وحج واستفاد ولقى أعلاماً منهم الشيخ مرتضى وأجازه وعنه ابناه محمد الطالب ومحمد الشيخ الكوهن وغيره، له تآليف عديدة كالحاشية على تفسير أبى السعود وعلى مختصر السعد، وتفسير على سورة الفرقان ومنظومة فى السيرة على نهج البردة، اشتملت على نحو أربعة آلاف بيت وشرحها فى خمسة أسفار، وأرجوزة فى المنطق، وأخرى فى علم الكلام ومقصورة فى علم العروض والقوافى، ونظم الحكم العطائية ونظم مقدمة ابن حجر وشرحها له فى سفر سمّاه (نفحة مسك الدارى لقارئ صحيح البخارى) إلي غير ذلك.

أفرد ترجمته فى تأليف خاص ابنه محمد الطالب مولده سنة ١١٧٤هـ وتوفى فى ربيع الثاني سنة ١٢٣٢هـ].

(١٣) شيخ الإسلام العلامة إبراهيم الرياحى:

رئيس المفتين بتونس وإمام مسجدها الأعظم وعالمها النظار وأستاذ الأساتذة الأخيار، خاتمة العلماء العاملين والأئمة المحققين. أخذ الطريقة التجانية عن الشيخ على حرازم مؤلف جواهر المعانى ثم لما رحل إلى المغرب اجتمع بالشيخ التجانى وأخذ عنه، وبكثير من أفاضل العلماء منهم الشيخ الطيب بن كيران. وتباحثا فى مسائل العلوم، وحضر درس السلطان فى التفسير ودخل سلا وأجازه فقيهها العلامة الشيخ محمد الطاهر المير السلاوى بما تضمنه ثبت الشيخ أحمد الصباغ الإسكندرى من العلوم على اختلاف أنواعها، والكتب المصنفة فيها فى المختصرات والمطولات بالأسانيد المتصلة إلي أربابها كما أجازه بذلك الشيخ عمر بن عبد الصادق الششتى المالكى عن شيخه أحمد المذكور ودخل الإسكندرية، ومصر والحرمين الشريفين واجتمع بأعلام منهم محدث المدينة المنورة الشيخ محمد عابد بن الشيخ أحمد بن على بن شيخ الإسلام محمد السنوسى المدرس بالحرم النبوي المتوفى فيه سنة ١٢٥٧هـ وأجازه بما حواه ثبته المسمى بحصر الشارد فى أسانيد الشيخ عابد، كما أجازه الشيخ محمد الأمير الصغير بما حواه ثبت والده، وأجازه أيضاً أبو عبد الله محمد بن التهامى الرباطى أجازه عامة بجميع مروياته المتصلة السند وتصدى لبث العلوم وأجاد وأفاد وأتى على غالب الكتب ختماً وتخرج عليه الكثير من الفحول الأعلام منهم:

- محمد بن محمد الحضار التونسي المفتي والفقيه.
- أحمد بن طاهر العلامة الواسع الاطلاع الفقيه المتقن الطويل الباع.
- أبو عبد الله محمد البنا التونسي قاضيها ثم مفتيها وإمامها الثاني بجامعها الأعظم.
- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور.
- أحمد بن حسين الغماري الكافى، كان عالى الهمة لا تأخذه فى الله لومة لائم. تولى قضاء بلده، ثم صار رئيس المفتين بالحاضرة بعد وفاة شيخه إبراهيم الرياحى.
- صالح بن محمد النيفر عالم تونس وقاضيها ثم رئيس المفتين بها.
- علي بن الشيخ أبي القاسم العفيفى التونسى.

وانظر ترجمته وهى فى غاية الطول مع النفاسة والإجادة فى طبقات الشيخ مخلوف.

كما ينبغى عليك أن تعرف أنه لما توفى الشيخ التجانى رضى الله عنه فى ١٧ شوال سنة ١٢٣٠هـ حضر جنازته من لا يُحصى من علماء فاس وصلحائها وأعيانها وفضلائها وصلى عليه مفتي المغرب الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم الدكالى. قال الشيخ ابن مخلوف فى طبقاته:

[محمد بن محمد بن إبراهيم الدكالى قاضي فاس ومفتيها العالم العلامة العمدة الفهامة المحقق الفاضل إليه المرجع فى الأحكام والنوازل بيته فى فاس بيت علم وصلاح. أخذ عن والده الشيخ الطيب بن كيران والشيخ التاودي وجماعة، وعنه الشيخ التسولى لازمه وانتفع به، له فتاوى مشهورة جمعها تلميذه المذكور توفى سنة ١٢٤١هـ مولده سنة ١١٦٢].

وقال الشيخ الحجة المتقن علامة المغرب القاضى أحمد سكيرج العياشى فى كتابه (الإيمان الصحيح):

[لو لم يكن من أتباع الشيخ التجانى غير أبي إسحاق الرياحي لكفى أسوة فى الاقتداء بسيدنا الشيخ قدس سره ولا نحتاج إلي التنويه بأبى إسحاق المذكور فإنّ جلالته فى العلم والعمل أشهر من نار على علم، وبيت الرياحى من العائلات العريقة فى المجد من قديم إلى الآن، وفيهم الخلافة عن سيدنا رضى الله عنه، مشهورة وهم البيوت فى الحاضرة التونسية المنتسبة للطريقة.

ومن البيوت التى اشتهرت بالفضل ومحبة الشيخ التجانى رضى الله عنه فى تونس أيضاً بيت السادة أولاد النيفر بيت العلم الراسخ وبيت السادة أولاد بيرم، بيت المجد الشامخ وبيوت أخرى.

ونخص منهم بفاس بيت أولاد قنون وبيت العلويين المولى عبد المالك الضرير والمولى عبد السلام بن عمر وغيرهم من الأعلام، ومن بيوت أولاد بنانى الذين من جملتهم شيخ الجماعة، الشيخ أحمد بن أحمد كلا بنانى، وبيت أولاد القباج، وبيت أولاد أبى هلال، وبيت أولاد السقاط بيت الولاية والصلاح، وبيت أولاد جسوس برباط الفتح، بيت الأمانة والعدالة وغيرهم وغيرهم ممن لا تحصى بيوتاتهم، وأفراد العائلات من الطريقة شرقاً وغرباً مثل بيت أولاد الحاج مالك فى دكار سينغال وبيت أولاد الحاج عبد الله انياس بكولخ سينغال، وغير هؤلاء ممن أكرمهم الله بالتصديق والسلوك على قدم الجد فى هذه الطريقة ممن لا يحصرهم عدد.

فهؤلاء السادة كل منهم أمَّة وقر الله جميعهم فلقد خاب مسعى مَن نسبهم إلى ضلالة. وأمَّة النبى صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة، وإخراجهم من دين الإسلام بمجرد فهم شىء على غير وجهه مما لا يقول به مؤمن].

التبـرك بـالأمـــــوات

وقلت فى مقالك بعد أن اتهمت التجانيين بأنهم يتبركون بزوجة شيخهم الفرنسية المزعومة– وقد أثبتنا لك زيف ما زعمته وبطلان ما اعتمدته، فراجعه فى محله وقلت بعده:

(والإسلام ينكر التبرك بقبور الأولياء الصالحين فكيف بقبور الكفار).

أما ذكر الكفار فكلمة سوف يسألك الله عنه فاستعد لها جواباً.

ومع أن التجانيين غير متظاهرين بالتبرك بقبور الأولياء ولا ممن يّشار لهم بذلك إلا أنني أحببت أن أذكر لك وأفيدك علماً بالذين يتبركون بالأموات، وحسبك أنى سانقل لك من أوثق المصادر وأبيّن لك منها أن الشيخ ابن تيمية كان أصحابه يتبركون بجنازته .... ورموا عمائمهم ومناديلهم، وثيابهم على نعشه تبركاً .... وشربوا الماء الذي فضل من غسله تبركاً .... واقتسموا بقية السدر الذي غسلت بها جنازته تبركاً.... واشتروا الطاقية التي كانت على رأسه وقت مات بخمسمائة درهم تبركاً .... وكان الشيخ ابن تيمية يربط فى عنقه خيطاً فاشتراه الناس بمائة وخمسين درهماً تبركاً.... كان الناس يترددون على قبره بصفة مستمرة ليلاً ونهاراً.

وأنا أعلم يا أستاذ طنطاوى إنك من المعجبين بالشيخ ابن تيمية فهل التبرك بالأموات وصل عند الصوفية إلي هذا الحد؟! أم أنه يجوز التبرك بابن تيمية إذا مات وأما غيره فلا؟!

وها أنا أنقل لك من المصادر التى لا يمكن التشكيك فيها لأنهم أصحاب الشيخ ابن تيمية وأحبابه، ولأنهم حضروا جنازته وشاهدوا ذلك عياناً، وحسبك أني سوف أنقل لك عن الشيخ الحافظ محمد بن عبد الهادى صاحب كتاب (الصارم المنكى فى الرد على السبكى) الذى ألفه فى الدفاع عن شيخه ابن تيمية. وعن كتاب (الأعلام العلية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) للحافظ عمر بن على البزار وكذلك عن الحافظ بن كثير صاحب التفسير فى كتابه (البداية والنهاية).

قال الحافظ بن عبد الهادى فى كتابه (العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) ما يلى:

[قال الشيخ علم الدين: وفى ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ الإمام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد، القدوة شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الإمام المفتى الفقيه، شهاب الدين، أبى المحاسن عبد الحليم

بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبى البركات، عبد السلام بن عبد الله، بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى، ثم الدمشقى، بقلعة دمشق، التى كان محبوساً فيها.

وحضر جمع إلي القلعة، فأذن لهم بالدخول، وجلس جماعة قبل الغسل، وقرأوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن...... وحُمل من باب البريد، واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك وصار النعش على الرؤوس، تارة يتقدم وتارة يتأخر .... وشرب جماعة الماءالذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به.

وقيل إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم وقيل: إن الخيط الذي فيه الزئبق، الذي كان فى عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء، وتضرع، وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية والبلد.

وتردد الناس إلي قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً ورؤيت له منامات كثيرة صالحة. ورثاه جماعة بقصائد جمة].

وقال قبل ذلك: [كان يوما مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق وانتابها المسلمون من كل فج عميق، يتبركون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسكون بشرجعه (اى النعش) حتى كسروا تلك الأعواد وذلك فى ليلة العشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بقلعة دمشق المحروسة].

وقال الحافظ البزار فى كتابه (الأعلام العلية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) :

[وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المُنفصل عن غُسله حتى حصل لكل واحد منهم شيء قليل، ثم أُخرجت جنازته فما هو إلا أن رآها الناس حتى أكبُّوا عليها من كل جانب، كلاً منهم يقصد التبرك بها حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله إلي القبر].

وذكر الحافظ ابن كثير فى كتابه (البداية والنهاية) مثل ما ذكر الحافظ ابن عبد الهادى أن الناس كانوا يبيتون عند قبر الشيخ ابن تيمية ونص كلامه:

[وتردد الناس إلي قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون ويصبحون، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ورثاه جماعة بقصائد جمة].

فهذا هو التبرك بالأموات يا أستاذ طنطاوى لا ما تزعمونه عن التجانيين، وقد تبيَّن زيفه وثبت أنه من أكاذيب خصوم الطريقة التجانية، الذين تصدقهم فى جميع ما يقولون، وقد أمركم الله أن تتبينوا، وفى قراءة تتثبتوا، والمعنى واحد فهل فعلتم؟ .. اللهم اشهد.

فقه الرؤيا عند الشيخ ابن القيم

قال الشيخ ابن القيم فى كتابه الروح:

[صح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب ابن جثامة وعوف بن مالك كانا متآخيين، قال صعب لعوف: أى أخى أينا مات قبل صاحبه فليتراءى له، قال: أو يكون ذلك؟ قال نعم، فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال، قلت أى أخى قال نعم قلت: ما فعل بكم؟ قال غفر لنا بعد المصائب قال ورأيت لمعة سوداء فى عنقه قلت أى أخى ما هذا؟ قال عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودى فهن فى قرنى فأعطوه إياها، واعلم أي أخى أنه لم يحدث فى أهلى حدث بعد موتى إلا قد لحق بى خبره حتى هرة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتى تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً فلما أصبحت قلت إنّ فى هذا لمعلماً فأتيت أهله فقالوا مرحباً بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم، لم تقربنا منذ مات صعب، قال فاعتللت بما يعتلّ به الناس فنظرت إلي القرن فأنزلته فانتشلت ما فيه فوجدت الصرة التى فيها الدنانير فبعثت بها إلي اليهودى، فقلت هل كان لك على صعب شيء؟ قال رحم الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هى له قلت لتخبرنى قال نعم أسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه قال: هى والله بأعيانها قال: قلت هذه واحدة. قال: قلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب؟ قالوا نعم حدث فينا كذا حدث قال: قلت اذكروا قالوا نعم، هرة ماتت منذ أيام فقلت هاتان اثنتان. قلت أين ابنة أخى؟ قالوا تلعب فأتيت بها فمسستها فإذا هى محمومة فقلت: استوصوا بها معروفاً فماتت فى ستة أيام.

وهذا من فقه عوف رحمه الله وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب بن جثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن التى أخبره بها من أن الدنانير عشرة وهى فى القرن ثم سأل اليهودى فطابق قوله لما فى الرؤيا فجزم عوف بصحة الأمر فأعطي اليهودى الدنانير وهذا فقه إنما يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلّ أكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف أن ينقل الدنانير من تركة صعب وهى لأيتامه وورثته إلي يهودى بمنام.

ونظير هذا من الفقه الذى خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس وقد ذكرها أبو عمر بن عبد البر وغيره (قال) أبو عمر أخبرنا عبدالوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج، حدثنا سعيد بن عفير وعبد العزيز بن

يحيى المدنى، حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن إسماعيل بن محمد بن ثابت الأنصارى عن ثابت بن قيس بن شماس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له (**يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟**) قال مالك: فقتل ثابت بن قيس يوم اليمامة شهيداً.

قال أبو عمر روى هشام بن عمار عن صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر قال: حدثني عطاء الخراساني قال حدثتنى ابنة ثابت بن قيس ابن شماس قالت: لما نزلت **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى﴾** دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل إليه يسأله ما خبره؟ قال أنا رجلٌ شديد الصوت أخاف أن يكون قد حبط عملي: قال (**لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير**) فقال: ثم أنزل الله﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ فأغلق عليه بابه وطفق يبكى ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فأخبره فقال: يا رسول الله إنى أحب الجمال وأحب أن أسود قومى، فقال (**لست منهم، بل تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة**). قالت لما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلي مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قُتلا وعلى ثابت يومئذٍ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه . إني لما قتلت أمس مرَّ بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالداً فمره أن يبعث إلي درعي فيأخذها وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر الصديق فقل له إن عليَّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلي الدرع فأتى به وحدث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيته قال: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله. انتهى ما ذكره أبو عمر.

فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هي فى يده وهذا محض الفقه.

وإذا كان أبو حنيفة وأحمد ومالك يقبلون قول المدعى من الزوجين ما يصلح له دون الآخر بقرينة صدقه فهذا أولى.

وكذلك أبو حنيفة يقبل قول المدعى للحائط بوجود الآجر إلى جانبه وبمعاقد القمط وقد شرع الله حد المرأة بأيمان الزوج وقرينة تكون لها فإن ذلك من أظهر الأدلة على صدق الزوج. وأبلغ من ذلك قتل المقسم عليه فى القسامة بأيمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث.

وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة ميتهم إذا مات فى السفر وأوصى إلى رجلين من غير المسلمين فاطلع الورثة على خيانة الوصيين بأنهما يحلفان بالله ويستحقانه وتكون أيمانهما أولى من أيمان الوصيين وهذا أنزله الله سبحانه فى آخر الأمر فى سورة المائدة وهى من آخر القرآن نزولاً، ولم ينسخها شيء وعمل بها الصحابة بعده ..

وهذا دليل على أنه يقضى فى الأموال باللوث وإذا كان الدم يباح باللوث وفى القسامة فلأن يقضى باللوث وهو القرائن الظاهرة فى الأموال أولى وأحرى.

وعلى هذا عمل ولاة العدل فى استخراج السرقات من السُراق حتى أن كثيراً ممن ينكر ذلك عليهم يستعين بهم إذا سرق ماله.

وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذى شهد بين يوسف الصديق وامرأة العزيز أنه حكم بالقرينة على صدق يوسف وكذب المرأة، ولم ينكر الله سبحانه عليه ذلك بل حكاه عنه تقريراً له.

وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن نبي الله سليمان بن داوود أنه حكم بين المرأتين اللتين ادعتا الولد للصغرى، بالقرينة التى ظهرت له لما قال ائتوني بالسكين أشق الولد بينكما، فقالت الكبرى نعم رضيت بذلك للتسلى بفقد ابن صاحبتها وقالت الأخرى : لا تفعل هو ابنها فقضى به لها للشفقة والرحمة التى قامت بقلبها حتى سمحت به لأخرى يبقى حياً وتنظر إليه.

وهذا من أحسن الأحكام وأعدلها وشريعة الإسلام تقر مثل هذا، وتشهد بصحته وهل الحكم بالقيافة وإلحاق النسب بها للاعتماد على قرائن الشبه مع اشتباهها وخفائها غالباً.

المقصود أن القرائن التى قامت فى رؤيا عوف بن مالك وقصة ثابت بن قيس لا تقتصر عن كثير من هذه القرائن، بل هى أقوى من مجرد وجود الآجرومعاقد القمط وصلاحية المتاع للمدعي دون الآخر فى مسألة الزوجين والصانعين وهذا ظاهر لا خفاء به وفطر الناس وعقولهم تشهد بصحته وبالله التوفيق] انتهى ما نقلناه من كتاب الروح للشيخ ابن القيم رحمه الله.

العقل والأدب
بين كتب الجاحظ وكتب الصوفية

قلت يا أستاذ فى مقالك:

(قبل أن أنقل لك طرفاً من هذه الأقوال أروى لكم كلمة قيلت من قديم فى كتب الجاحظ، وأحسب أن قائلها ابن العميد هى: أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

وأنا استعير اليوم هذه الكلمة لأقول: إنّ هذه الأقوال وأمثالها التى تفيض بها الكتب المنسوبة للصوفية " كالطبقات الكبرى" للشعراني و "السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين" للشيخ السنوسي الكبير و"الفتوحات المكية" و "الفصوص" لابن عربى هذه الكتب تورث الجنون أولاً والكفر ثانياً.

التعليق:

محصلة هذا الكلام هو ما يلى:

١- أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

٢- أن كتب الصوفية تورث الجنون أولاً والكفر ثانياً.

ولن أناقشك كثيراً فى التناقض البادي فى عبارتك وهل يصح أن يسبق الجنون الكفر، وهل من زال عقله وهو مناط التكليف يصح أن يوصف بالكفر بعد؟! لست أبتغى مناقشتك ولكن هل يجوز أن تنقل مرتضيا أن كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

أرأيت لو أن إنساناً ممن يحسن ظنه بك قرأ هذه الكلمة فصدّقها وأدمن قراءة كتب الجاحظ، فهل كنت ترتضيه منه؟! وهل تظن أنه سيتعلم العقل أولاً والأدب ثانيا؟ أما لو قرأ كتاب الطبقات للشعرانى، فسيصاب بالجنون أولاً ثم الكفر بعد ذلك. مع أن كتاب الشعرانى إنما هو تراجم للأولياء، والصالحين وذكر طائفة من كراماتهم. وكون الكرامة ثابتة فبالنصوص الشرعية، وثبوتها محل اجماع بين أهل السنة خاصتهم وعامتهم، ولم ينكرها إلاّ طوائف المبتدعة ممن ينسب نفسه للإسلام ومن هؤلاء المعتزلة، ومنهم الجاحظ فقد كان إماماً فيهم، وإنكار المعتزلة للكرامات مما هو معروف عنهم، ودعواهم أنّ إثباتها يقتضي اختلاط المعجزة بغيرها، وعدم تميزها، وقد أبطل العلماء هذه الدعوى. وليس هذا محل ايراد أدلتهم وقد اشتبهتَ علينا يا أستاذ طنطاوى بكلامك السابق أنك ممن يميل إلي رأى المعتزلة فى مسألة الكرامات وإلاّ ما معنى أن تقول أن طبقات الشعراني - وهو مؤلف فى التراجم والكرامات- يورث الجنون والكفر، وتنقل أن كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً. ومَن

هو الجاحظ: هذا الذى تعلم كتبه العقل أولاً والأدب ثانياً؟ دعني - يا أستاذ طنطاوى – أنقل لك عمن يعرف الجاحظ خيراً من معرفتي ومعرفتك، وهو الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادى شيخ الأصوليين وإمام الفقهاء الشافعية فى زمانه، والشيخ الإمام عبد القاهر البغدادى معروف لدى علماء الإسلام، وقد برع فى الفقه والأصول والنحو والحديث، تخرج بالحديث بالحافظ بن عدي وبالحافظ أبي بكر الإسماعيلى شيخ المحدثين. وأما فى الأصول فقد تخرج بإمام الأئمة وعلامة الدنيا فى الأصول الشيخ أبي إسحاق الاسفرايينى المتوفى سنة ٤١٨هـ وكان عبد القادر البغدادى من سعة علمه يدرس فى سبعة عشر فناً. وانظر إن شئت ترجمته فى كتاب طبقات الشافعية للسبكي، والبداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من كتب التاريخ والتراجم، وإنما أطلنا لك فى التعريف بهذا الإمام الجليل القدر لتعرف قيمة كلامه فى التعريف بالجاحظ الذى تنقل عنه أن كتبه تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

قال الإمام عبد القاهر البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم):

ذكر الجاحظية منهم -يعنى المعتزلة- هؤلاء أتباع عمرو بن بحر الجاحظ وهم الذين اغتروا بحسن بذله الجاحظ فى كتبه التى لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهولُ، ولو عرفوا جهالاته فى ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنساناً فضلاً عن أن ينسبوا إليه إحساناً.

فمن ضلالاته المنسوبة إليه ما حكاه **الكعبي** عنه فى مقالاته مع افتخاره به من قوله: إن المعارف كلها طباع وهى مع ذلك فعل للعباد وليست باختيارهم. قالوا ووافق ثمامة فى أن لا فعل للعباد إلا الإرادة وأن سائر الأفعال تنسب إلي العباد على معنى أنها وقعت منهم طباعاً وأنها وجبت بإرادتهم. قال وزعم أيضاً أنه لا يجوز أن يبلغ أحد فلا يعرف الله تعالى. والكفار عنده من معاند ومن عارف قد استغرقه حبه لمذهبه فهو لا يشكر بما عنده من المعرفة بخالقه وبصدق رسله فإن صدق الكعبي على الجاحظ فى أن لا فعل للإنسان إلا الإرادة لزمه أن لا يكون الإنسان مصليا ولا صائماً ولا حاجاً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاذفاً ولا قاتلاً، لأنه لم يفعل عنده صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا زنى ولا سرقة ولا قتلاً ولا قذفاً. لأنَّ هذه الأفعال عنده غير الإرادة وإذا كانت هذه الأفعال التى ذكرناها عنده طباعاً لا كسباً لزمه أن لا يكون

للإنسان عليها ثواب ولا عقاب لأن الإنسان لا يُثاب ولا يعاقب على ما لا يكون كسباً له. كما لا يثاب ولا يعاقب على لونه وتركيب بدنه، إذا لم يكن ذلك من كسبه.

ومن فضائح الجاحظ أيضاً قوله باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها، وهذا يوجب القول بأن الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شيء ولا يقدر على إفنائه، وإنه لا يصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفرداً كما كان منفرداً قبل أن خلق الخلق. ونحن وإن قلنا أن الله لا يُفني الجنة ونعيمها والنار وعذابها ولسنا نجعل ذلك بأن الله عز وجل غير قادر على إفناء ذلك كله وإنما نقول بدوام الجنة والنار بطريق الخبر.

ومن فضائح الجاحظ أيضاً قوله بأن الله لا يُدخل النار أحداً وإنما النار تجذب أهلها الى نفسها بطبعها ثم تمسكهم في نفسها على الخلود ويلزمه على هذا القول أن يقول في الجنة إنها تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها وإن الله لا يدخل أحداً الجنة. فإن قال بذلك قطع الرغبة إلى الله في الثواب وأبطل فائدة الدعاء. وإن قال أن الله تعالى يدخل أهل الجنة الجنة لزمه القول بأنه يدخل النار أهلها.

وقد افتخر الكعبي بالجاحظ وزعم أنه من شيوخ المعتزلة وافتخر بتصانيفه الكثيرة وزعم أنه كناني من بني كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فيقال له، إن كان كنانياً كما زعمت فلم صنف كتاب (مفاخر القحطانية على الكنانية وسائر العدنانية)، وإن كان عربياً فلم صنف كتاب (فضل الموالى على العرب). وقد ذكر في كتابه المسمى بمفاخر قحطان على عدنان أشعاراً كثيرة من هجاء القحطانية للعدنانية، ومن رضى بهجو آبائه كمن هجا أباه.

من كان يهجو أباه	**فهجوه قد كفاه**
لو أنه من أبيه	**ما كان يهجو أباه**

وأما كتبه المزخرفة فأصناف منها كتاب في (حيل اللصوص) وقد علم بها الفسقة وجوه السرقة، ومنها كتابه في (عشر الصناعات) وقد أفسد به على التجار سلعهم، ومنها كتابه في (النواميس) وهو ذريعة للمحتالين يجتلبون بها ودائع الناس وأموالهم، ومنها كتابه في (الفتيا) وهو مشحون بطعن أستاذه النظام على أعلام الصحابة ومنها كتبه في (القحاب) و(الكلاب) و(اللاطة) وفي (حيل المكدين) ومعاني هذه الكتب لائقة به وبصفته وأسرته.

ومنها كتاب (طبائع الحيوان) وقد سلخ فيه معاني كتاب لأرسطاليس وضم إليه ما ذكره المدائني من حكم العرب وأشعارها فى منافع الحيوان ثم إنه شحن الكتاب بمناظرة بين الكلب والديك والاشتغال بمثل هذه المناظرة يضيع الوقت بالغث، ومن افتخر بالجاحظ سلمنا إليه قول أهل السنة فى الجاحظ كقول الشاعر فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ... ما كان إلادون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بنفسه ... وهو القذى فى كل طرف لاحظ

انتهى كلام العلامة عبد القاهر البغدادى.

فهل هذا هو الجاحظ الذى تعلّم كتبه العقل أولا والأدب ثانياً؟ وهل تعتقد أنه بأقوال الجاحظ وأمثاله يمكن لنا أن ننشيء جيلاً صالح العقل تام الأدب، وأما كتب الصوفية فجنون وكفر... اللهم أشهد.

وأما كتاب (الطبقات الكبرى) للشعراني فهو كتاب مؤلف فى تراجم وكرامات الصالحين وإن كان عقلك يا أستاذ لا يستطيع أن يستوعب فهم بعض هذه الكرامات، فليس عقلك هو الحجة فى الأخذ والرد ولا فهمك هو الذى أمرنا الله أن نرجع إليه عند التنازع أضف إلى ذلك أن الإمام الشعرانى بالذات قد وقع الدس فى كتبه وحصل هذا بحياته، وقد نبّه الشعرانى إلى ذلك وحذر الناس من أن بعض كتبه قد وقع فيها دس وبرأ ذمته من كل كلام يخالف الشرع يكون فى نسخة تقع لأحد من الناس. وقد ذكر تحذيره هذا فى كتابه (**قواعد الصوفية**)، وفى كتابه (**اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر**)، وفى كتابه (**البحر المورود فى المواثيق والعهود**)، وفى كتابه (**الميزان الكبرى**)، وفى كتابه (**الطبقات الصغرى**) وفى غيرها.

على أن الشيخ ابن تيمية الذى تحبونه كثيراً وتمجدونه كثيراً قد ذكر عن الأولياء والصالحين كرامات من مثل ونحو الكرامات التى ذكرها الإمام الشعرانى، فإن كان كلام الشعرانى يورث ما قلته فهل لك أن تقول: وكذلك ما كتبه ابن تيمية يورث الجنون أولا والكفر ثانياً.

فهاهو ابن تيمية يعتقد فى الأولياء أنهم يحيون الموتى بإذن الله تعالى وإن جنائز بعضهم ارتفعت إلى السماء وبعضهم لم يشرب طول عمره ولم يعطش وبعضهم يمكث

الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً، وبعضهم يشرب السم فلا يؤثر فيه وبعضهم يمشى معه الأسد يدله على الطريق وبعضهم يمشى على الماء مشيه على الأرض، وبعضهم يُرمى فى النار فلا تحرقه، وبعضهم ينفق من الغيب، وبعضهم يغيب عن الأبصار فلا يرى مع دخول الناس عليه، وبعضهم يصلي فيظله السحاب، وبعضهم ينقلب التراب له سنبلاً متراكماً، وبعضهم كان مصاباً بالفالج ثم تُطلق له أعضاؤه وقت الوضوء، ثم يرجع بعد الوضوء كما كان، وبعضهم كان يسمع الآذان وقت الصلوات من قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع هذا وغيره معه ذكره الشيخ ابن تيمية عن أولياء الله الصالحين وسمى جيمع ذلك كرامات ولم يقل أن اعتقاده مثل هذا يورث الجنون أولاً والكفر ثانياً، كما قلت يا أستاذ طنطاوى عن طبقات الشعراني.

فإن كان يجوز لابن تيمية أن يذكر هذا فمن أين يُحرم على الإمام الشعراني مثله ونحوه.

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

ودعنى أنقل لك من أوثق كتب ابن تيمية التى يعتمد عليها كثيرا من يعترض على الصوفية:

قال الشيخ ابن تيمية فى كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان):

[وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهى الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة، تسلمّ على عمران بن حصين، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان فى صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها. وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا معاً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا، افترق الضوء معهما، رواه البخارى وغيره.

وقصة الصديق فى الصحيحين لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا وصارت أكثر مما هى قبل ذلك. فنظر إليها ابوبكر وامرأته فإذا هى أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا.

وخبيب بن عدى كان أسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة.

وعامر بن فهيرة، قتل شهيداً، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع. وقال عروة فيرون الملائكة رفعته.

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حساً على رأسها، فرفعته فإذا هو دلو معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها.

وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى الأسد حتى أوصله مقصده.

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين فى الجهاد يقولون: يا براء! أقسم على ربك، فيقول: يارب! أقسمت عليك يا رب فيهزَم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

وسعد بن أبى وقاص كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذى هزم جنود كسرى وفتح العراق.

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمرّ عليهم رجلاً يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية الجبل يا سارية! الجبل الجبلّ، فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدونا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

ولما عذبت الزنيرة على الإسلام فى الله، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها، قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعُزى، قالت: كلا والله، فردّ الله عليها بصرها.

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى الله بصرها لما كذبت عليه، فقال اللهم إن كانت كاذبة، فأعم بصرها واقتلها في أرضها، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت.

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضئوا لما عدموا الماء والاسقاء لما بعدهم، فأجيب، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد،

وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة، وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو الله عز وجل فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال أتبعني، فتبعه فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال ما أسمع، قال أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم، فأمر بنار فألقي بها، فوجدوه قائماً يصلي فيها، وقد صارت عليه برداً وسلاماً. وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مَن فُعل به كما فعل بابراهيم خليل الله، ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت، فدعا لها فردّ الله عليها بصرها.

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها، ومرّ بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن، وإني أستحي من الله أن أخاف شيئاً غيره، ومرت القافلة، ودعا الله تعالى أن يهّون عليه الطهور في الشتاء، فكان يوتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه.

وتغيب الحسن البصرى عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيهم فخرّ ميتاً.

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو فقال اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منة الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بنيّ خذ سرج الفرس فإنه عارية وأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب فى ثوب حرير فأكل التمر وبقي الثوب عند زوجته زماناً وجاءه الأسد وهو يصلي فى غيضة بالليل، فلما سلم قال له: أطلب الرزق من غير هذا الموضع فولي الأسد وله زئير.

وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوقات الصلوات وكان المسجد قد خلا، فلم يبق غيره.

ورجل من النخع كان له حمار فمات فى الطريق فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيهة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه.

ولما مات أويس القرني وجدوا فى ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد فى صخرة، فدفنوه وكفنوه فى تلك الأثواب.

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوماً فى شدة الحر فأظلته غمامة، وكان السبع يحميه، وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه فى الغزو أن يخدمهم.

وكان مطّرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران فى ظلمة، فأضاء لهما طرف السوط.

ولما مات الأحنف بن قيس، وقعت قلنسوة رجل فى قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مدّ البصر.

وكان ابراهيم التيمى، يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه، فمرّ بسهلة حمراء فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هى حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكبا.

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتا حسنا، ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته، ولا يدري من أين يأتيه.

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاؤه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تُطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده.

وهذا باب واسع وقد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع. وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير] انتهى ما نقلناه لك من كلام ابن تيمية.

فهذا ما يحكيه الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى من كرامات الصالحين فهل تعتقد يا أستاذ طنطاوى أن كتب ابن تيمية تورث الجنون أولاً والكفر ثانيا؟

على أن ما يحكيه تلاميذ ابن تيمية النجباء كالشيخ ابن القيم وابن عبد الهادي والحافظ البزار - ما يحكيه هؤلاء عن كرامات شيخهم ابن تيمية رحمه الله أعجب وأغرب مما حكاه ابن تيمية عن غيره من الصالحين.

فابن القيم وهو تلميذه الأجل يقول: إن الشيخ ابن تيمية كان يعلم الغيب ويطلع على ما في نفوس الناس ويعرف ما في اللوح المحفوظ، وإنه كان يحارب الأرواح الشيطانية وكان يخاطبها وتخاطبه، ويضرب الأرواح الشيطانية الماردة بالعصا، وكانت تخاف منه وتطيعه، وبمثل ذلك قال الحافظ البزار في كتابه الأعلام العلية.

قال الشيخ ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين شرح منازل السائرين) لشيخ الإسلام الإمام الهروى ما نصه:

[ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله أموراً عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم، وأعظم ووقائع فراسته تستدعى سفراً ضخماً.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة وأن جيوش المسلمين تُكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدّته في الأموال: وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: إن الدائرة والهزيمة عليهم وإن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً.

فيقال له: قل إن شاء الله فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً. وسمعته يقول ذلك. قال فلما أكثروا عليّ، قلت لا تكثروا كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: إنهم مهزومون في هذه الكرة، وإن النصر لجيوش الإسلام قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر.

ولما طلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله- بعد ما أنضجت له القدور وقلبت له الأمور. اجتمع أصحابه لوداعه وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك، فقال والله لا يصلون إلى ذلك أبداً. قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم ويطول حبسي ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس. سمعته يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك وقالوا: الآن بلغ مراده منك فسجد لله شكراً وأطال. فقيل له ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن، وقرب زوال أمره، فقيل: متى هذا؟ فقال لا تربط خيول الجند على القرط حتى تُغلب دولته، فوقع الأمر مثل ما أخبر به. سمعت ذلك منه.

وقال مرة يدخل عليّ أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكرها لهم. فقلت له- أو غيري- لو أخبرتهم؟ فقال: أتريدون أن أكون معرّفاً كمعرّف الولاة. وقلت له يوماً: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح. فقال لا تصبرون معي على ذلك جمعة أو قال شهراً.

وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني، وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها. وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها.

وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته. والله اعلم].

وقال ابن القيم في كتاب (المدارج) أيضاً

[وكان شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها- من محاربة

أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة- قال: فلما اشتد عليّ الأمر، قلت لأقاربي ومَن حولي: اقرأوا آيات السكينة قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قَلبة].

وقال الشيخ ابن القيم أيضاً في كتابه (الطب النبوي):

[وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول: قال لك الشيخ: أخرجي فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع. وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع، ولا يحس بالألم. وقد شاهدنا نحن وغيرنا- منه ذلك مراراً.

وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً، وأنكم إلينا لا ترجعون؟!﴾].

[وحدثني أنه قرأ مرة في أذن المصروع فقالت الروح: نعم، ومدّ بها صوته. قال: فأخذت له عصاً وضربته به في عروق عنقه، حتى كلّت يداي من الضرب ولم يشكّ الحاضرون بأنه يموت لذلك الضرب. ففي أثناء الضرب قالت أنا أحبه، فقلت لها هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحجَّ به، فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك. فقالت: أنا أدعه كرامة لك (قال) قلت لا ولكن طاعة لله ولرسوله. قالت: فأنا أخرج منه. قال فقعد المصروع يلتفتُ يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب؟ ولم يشعر بأنه وقع به الضرب ألبتة)] أهـ.

وقال الحافظ أبو حفص عمر بن علي البزار المتوفى سنة ٧٤٩هـ في كتابه (الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية)، قال:

[أخبرني غير واحد من الثقات ببعض ما شاهده من كراماته وأنا اذكر بعضها على سبيل الاختصار، وأبدأ من ذلك ببعض ما شاهدته، فمنها أنه جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها، وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ وما يرجحه من القول فيها. ثم إن الشيخ رضي الله عنه حضر فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسألة، ويذكر أقوال العلماء، ثم يُرجّح منها ما يرجحه الدليل حتى أتى على آخر ما أردنا أن

نسأل عنه وبين لنا ما قصدنا أن نستعمله منه فبقيت أنا وصاحبي ومَن حضرنا مبهوتين متعجبين مما كاشفنا به وأظهره الله عليه مما كان في خواطرنا.

وكنت في خلال الأيام التي صحبته فيها إذا بحث مسألة يحضر لي ايراد- فما يستتم خاطري به حتى يشرع فيورده ويذكر الجواب من عدة وجوه.

وحدثني الشيخ الصالح المقريء أحمد بن الحريمي أنه سافر إلى دمشق- قال فاتفق أني لما قدمتها لم يكن معي شيء من النفقة ألبتة وأنا لا أعرف أحداً من أهلها فجعلت أمشي في زقاق منها كالحائر فإذا بشيخ قد أقبل نحوي مسرعاً فسلّم، وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم صالحة، وقال لي أنفق هذه الآن فيما أنت فيه فإن الله لا يضيّعك. ثم ردّ على أثره كأنه ما جاء إلا من أجلي.فدعوت له وفرحت بذلك، وقلت لبعض من رأيته من الناس من هذا الشيخ؟ فقال وكأنك لا تعرفه، هذا ابن تيمية، لي مدة طويلة لم أره اجتاز بهذا الدرب. وكان جلّ قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه. فتحققت أن الله أظهره عليّ وعلى حالي. فما احتجت بعدها إلى أحد مدة اقامتي بدمشق، بل فتح الله عليّ من حيث لا أحتسب واستدللت فيما بعد عليه وقصدت زيارته والسلام عليه، فكان يكرمني ويسألني عن حالي فأحمد الله تعالى إليه.

وحدثني الشيخ العالم المقرىء تقي الدين عبد الله بن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد قال: سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيماً بها. فاتفق أني قدمت ليلاً وأنا مثقل مريض. فأنزلت في بعض الأمكنة فلم ألبث أن سمعت من ينادي باسمي وكنيتي فأجبته وأنا ضعيف. فدخل عليَّ جماعة من أصحاب الشيخ ممن كنت قد اجتمعت ببعضهم في دمشق. فقلت كيف عرفتم بقدومي، وأنا قدمت هذه الساعة؟ فذكروا أن الشيخ أخبرنا أنك قدمت وأنت مريض وأمرنا أن نسرع بنقلك. وما رأينا أحداً جاء، ولا أخبرنا بشيء فعلمت أن ذلك من كرامات الشيخ رضي الله عنه.

وحدثني أيضاً قال مرضت بدمشق إذ كنت بها مرضة شديدة منعتني حتى من الجلوس، ولم أشعر إلا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض. فدعا لي وقال: جاءت العافية فما هو إلا أن فارقني وجاءت العافية من وقتي.

وحدثني أيضاً: قد كنت استكتب شعراً لبعض من انحرف عن الشيخ قد تنقصه فيه وكان سبب قوله ذلك الشعر أنه نسب إلى قائله شعر وكلام يدل على الرفض فأخذ الرجل وأثبت ذلك عليه في وجهه عند حاكم من حكام الشرع المطهر، فأمر به فشهر حاله بين الناس، فتوهم أن الذى كان سبب ذلك الشيخ. فحمله ذلك على أن قال فيه ذلك الشعر. وبقي عندى. وكنت ربما أورد بعضه فى بعض الأحيان، فوقعت فى عدة أشياء من المكروه والخوف متواترة. ولولا لطف الله تعالى بي فيها لأتت على نفسي فنظرت من أين دُهيت فلم أر لذلك سبباً إلا ايرادي لبعض ذلك الشعر فعاهدت الله ألا أنوه بشيء فزال عني أكثر ما كنت فيه من المكاره وبقي بعضه وكان ذلك الشعر عندي فأخذته وحرقته وغسلته حتى لم يبق له أثر واستغفرت الله تعالى من ذلك، فأذهب الله عني جميع ما كنت فيه من المكروه والخوف، وأبدلني به عكسه ولم أزل بعد ذلك فى خير وعافية ورأيت ذلك حالاً من أحوال الشيخ ومن كراماته على الله.

وحدثني أيضاً قال: أخبرني الشيخ ابن عماد الدين المقرئ المطرز قال: قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا، فلما كان بعد أيام وقد نفدت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه فمنعني وأجلسني دونه فلما خلا المجلس دفع إلي جملة دراهم وقال: أنت الآن بغير نفقة فارتفق بهذه فعجبت من ذلك وعلمت أن الله كشفه على حالي أولاً لما كان معي نفقة وآخراً لما نفدت واحتجت إلى نفقة.

وحدثني من لا أتهمه أن الشيخ رضي الله عنه حين نزل المغل بالشام لأخذ دمشق وغيرها رجف أهلها وخافوا خوفاً شديداً وجاء إليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين فتوجّه إلى الله ثم قال: أبشروا فإن الله يأتيكم بالنصر فى اليوم الفلاني، بعد ثالثة حتى ترون الرؤوس معبئة بعضها فوق بعض، قال الذى حدثني فوالذى نفسي بيده أو كما حلف، ما مضى إلا ثلاث مثل قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ علي ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض.

وحدثني الشيخ الصالح الورع عثمان بن أحمد بن عيسى النساجَ أن الشيخ رضي الله عنه كان يعود المرضى بالبيمارستان بدمشق فى كل يوم فجاء على عادته فعادهم فوصل إلى

شاب منهم فدعا له فشفى سريعاً، وجاء إلى الشيخ يقصد السلام عليه فلما رآه هش له وأدناه ثم دفع إليه نفقة وقال: قد شفاك الله، فعاهد الله أن تعجّل الرجوع إلى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبنات لك أربعاً بلا نفقة وتقيم ههنا، فقال الفتى: فقبلت يده وقلت يا سيدي أنا تائب إلى الله على يديك وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهم بلا نفقة ولم يكن قد عرف بحالي أحد من أهل دمشق.

وحدثني من أثق به أن الشيخ رضى الله عنه أخبر عن بعض القضاة أنه قد مضى متوجهاً إلى مصر المحروسة ليقلد القضاء، وأنه سمعه يقول، حالما أصل البلد قاضيا أحكم بقتل فلان، رجل معين من فضلاء أهل العلم والدين قد أجمع الناس على علمه وزهده وورعه ولكن حصل فى قلب القاضي منه من الشحناء والعداوة ما صَوّب له الحكم بقتله. فعظم ذلك على من سمعه خوفاً من وقوع ما عزم عليه من القتل بمثل هذا الرجل الصالح وحذراً على القاضي أن يوقعه الهوى والشيطان فى ذلك، فيلقى الله متلبساً بدم حرام وفتك بمسلم معصوم الدم بيقين وكرهوا وقوع مثل ذلك لما فيه من عظيم المفاسد فأُبلغ الشيخ رضى الله عنه هذا الخبر بصفته فقال: إن الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل إلى مصر حياً فبقي بين القاضي ومصر قدر يسير وأدركه الموت فمات قبل وصولها كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ رضى الله عنه.

قلت وكرامات الشيخ رضى الله عنه كثيرة لا يليق بهذا المختصر أكثر من ذكر هذا القدر منها، ومن أظهر كراماته أنه ما سمع بأحد عاداه أو غض منه إلا وابتلى بعدة بلايا غالبها فى دينه وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج إلى شرح صفته.

انتهى ما نقلناه لك من كتاب (الأعلام العلية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية) للحافظ البزار أبى حفص عمر بن علي. فهل مجموع هذه الأخبار إلا كتلك التى فى طبقات الشعرانى، وإن كنت لا تصدق الشيخ الشعراني فيما ينسبه إلى أولياء الله الصالحين فهل تصدق البزار وابن القيم وغيرهما من أصحاب الشيخ ابن تيمية فى أنه كان يعلم الغيب ويقرأ اللوح المحفوظ ويعلم ما فى قلوب الناس ويعلم من يدخل البلدة. ولو لم يعرفه أحد. ويخبر بما كان وما سيكون ويعلم أين يدرك الموت الناس، فهل هذا وأمثاله إلا كالذى فى طبقات الشعراني؟ فما معنى انكاركم على كتب الشعراني وكتب الصوفية إذا كانوا يحكون عن

أشياخهم ما لا تقبله عقولكم مثل ما يحكى أصحاب ابن تيمية عن شيخهم؟ على أن الشعراني قد وقع الدس في كتبه في حياته وقد نبهتكم إلى ذلك في موضع سابق من هذا الكتاب، فراجعه بمحله، وإنما ذكرنا جميع ذلك ليتبيَّن لطالب الحق ما نحن وما أنتم والله يتولى من يقصد الحق بتأييده وتسديده وتوفيقه لا هادي سواه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل...

تـــم

والـــحـــمـــد الله

الــلــهم صلّ وسلـم عـلــى سـيـدنــا

مــحــمــد الــفــاتــح الــخــاتــم

وعلـى آلـــه وسلـم

الفهرست



كتب مطبوعة للمؤلف :

١ / الرد على الأفريقى دفاعا عن الطريقة التجانية
٢ / التجانية وخصومهم والقول الحق
٣ / دفاع عن التجانيين في تعليقات على رأس القلم
٤ / ردع المعتدي على الجناب التجاني الأحمدي
٥ / إطفاء القنديل وبيان مافيه من الكذب والغش والتحريف والتبديل
٦ / الرد على الفئة الطاعنة في الآداب المائة
٧ / إقامة الحجة بانوار المحجة
٨ / العارف الرباني الشيخ يوسف بقوي التجاني
٩ / الذكرى السنوية العاشرة للشيخ يوسف بقوي التجانى
١٠ / مذاكرة فى حديث وفد عبد القيس
١١ / هذا هو الحق رد على رسالة أين الحق
١٢ / بذل الوسع فى الجواب على المسائل التسع
١٣ / منظومة آداب المريد مع شيخه : شرح وتعليق
١٤ / بيان بطلان حديث يا ويح ثعلبة
١٥ / أخطاء الألبانى وأوهامه فى كتاب التوسل أنواعه وأحكامه
١٦ / وهذا الكتاب :

الرد على الطنطاوي على ما نشره عن التجانية في جريدة الشرق الأوسط

كتب تحت الطبع:

١ / موثوقية مصادر دراسة الشخصية الصوفية
٢ / الجهاد فى سبيل الله روح التصوف الاسلامى
٣ / اجتثاث بدعة رد المطلقة ثلاث
٤ / رسالة مفتوحة الى ندوة الشباب الأسلامى
٥ / رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة : شبهات وردود
٦ / الدور والتسلسل : المعوق الرئيسى فى بناء مناهج أسلمة المعرفة
٧ / ديوان شعر بعنوان : زيتونة الأنوار

كتب تحت التأليف:

١ / تراجم الأعلام والمعالم فى جواهر المعانى
٢ / دراسة تمهيدية فى كتاب جواهر المعانى
٣ / حقائق يجب ان يعرفها الناس عن الطريقة التجانية
٤ / بحوث المستشرقين فى الطريقة التجانية : ما لها وما عليها
٥ / الزيادة على الإفادة لمريد السعادة
٦ / بذل المجهود فى بيان قاعدة أهل الكشف والشهود
٧ / غايات الكمال فى عنوان مطالع الجمال
٨ / مشكلات الكتب الستة
٩ / المزيد في متصل الأسانيد : شرطه وحكمه
١٠ / زيادة الثقة : شرطها وحكمها
١١ / كشف الغواشى فى تنبيهات الهوامش والحواشى
١٢ / مراتب التجهيل وأحكامها عند المحدثين
١٣ / الكيل والتطفيف فى الجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف
١٤ / هشيم المحتظر من عجالة المنتظر